أُمِّيةُ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله

بين نور العترة وأعوجاج السليقة

جَعفرُ السُّبحاني مِثالاً

تقريرًا لأبحاث

الشَّيخ ياسر الحبيب

أمـيَّةُ النَّـبي صلى الله عليه وآله

بينَ نورِ العِترة واعوجَاجِ السَّـليقة: جَعفرُ السُّبحانيّ مثالًا!

📚 هوية الكتاب

العنوان : أمـــيَّةُ النَّـــبي ﷺ

بينَ نورِ العِترة واعوجَاجِ السَّـــليقة: جَعفرُ السُّبحانيّ مثالًا!

بيانات الإعداد والإنتاج:

الجهة المنتجة: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
الإخراج الفني: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
تصنيف الكتاب: عقائدي/ روائي قرآني
الطبعة: الأولى

المواصفات الفنية للنسخة:

نوع النسخة: إلكترونية
حجم الصفحة: A5
عدد الصفحات: [٩٨] صفحة
تاريخ الإنتاج: صفر الأحزان ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

⚠️ جميع الحقوق محفوظة
حقوق الطبع والنشر محفوظة للجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب.

🌐 **المنصة الرسمية المعتمدة:**
لـمتابـعة جـديـد الإصـدارات والآثـار، تـفضلوا بـزيـارة صـفحة الـلجنة الـوحـيدة والرسمية على التليجرام:
📣 **@turathalhabib**

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

تأسست: صفر الأحزان ١٤٤٥هـ

Committee for Preserving and Publishing the

Works of Sheikh Yasser al-Habib

أمـيَّةُ النَّـبي صلى الله عليه وآله

بينَ نورِ العِترة واعوجَاجِ السَّـليقة: جَعفرُ السُّبحانيّ مثالًا!

تقريرًا لمحاضرات

الشيخ ياسر الحبيب

الطبعة الأولى | ١٤٤٧هـ |٢٠٢٦م

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وعلى آله آل الله واللعنة على أعدائهم أعداء الله

تَـقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، الذين هم نور الهدى ومعدن العلم واليقين.

أما بعد.. فإنَّ مما ابتُليت به الأمة الإسلامية عبر العصور، شيوع مفاهيم ومقولات ترسخت في الأذهان، وتوارثتها الأجيال دون تمحيصٍ كافٍ في أصولها أو تدقيقٍ في دلالاتها، حتى غدت عند الكثيرين من المُسلمات التي لا تقبل النقاش. ومن أبرز هذه المقولات التي شاعت وذاعت: وصف النبي الأكرم ﷺ بـ "الأمي" بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة، وما يترتب على ذلك من تداعيات في فهم الآيات القرآنية والسيرة النبوية.

ولما كان هذا المفهوم يمسُّ جانبًا من جوانب الكمال في شخصية النبي ﷺ - الذي هو مجمع الفضائل ومنتهى العلم - فقد تصدى سماحة الشيخ الحبيب (دام عزه) لتفكيك هذه الشبهة و إماطة اللثام عن الحقيقة التي تليق

بمقام النبوة المطلق، وذلك عبر جلستين بحثيتين قيّمتين ألقاهما سماحته عبر البث المباشر على قناتي "فدك" و"صوت العترة" في الليالي الرمضانية المباركة لعام ١٤٤٢هـ.

جاءت الجلسة الأولى بعنوان: "**ماذا كتب النبي لأبي بكر وعمر بخط يده؟ وكيف كتب وهو أمي؟**"، لترسم معالم الحق وتكشف دلالات الألفاظ في السياق القرآني، نافيةً عن النبي ﷺ ما لا يليق بمقامه، ومثبتةً -بالدليل الروائي والنقدي- قدرته الشريفة على القراءة والكتابة، ومصححةً معنى "الأمية" لتردها إلى أصلها اللغوي والسياقي: "الانتساب إلى أم القرى".

أما الجلسة الثانية، فقد جاءت بعنوان: "**جعفر السبحاني مثالًا لاعوجاج السليقة والتغرب عن نور العترة**"، حيث ناقش فيها سماحته -بمنهجية علمية رصينة- الطرح المعاصر للشيخ جعفر السبحاني في كتابه "مفاهيم القرآن"، مفنِّدًا إشكالاته ومبينًا أثر الابتعاد عن منهج العترة الطاهرة في الوقوع في التهافت العلمي والموافقة لآراء المخالفين، ومؤصلًا في الوقت ذاته لقاعدة حاكمية النص المعصوم على القواعد اللغوية الاجتهادية.

ونظرًا للأهمية البالغة لهذه الأبحاث، وما تتضمنه من كشفٍ للحقائق المخفية وتصحيحٍ للمسارات الفكرية، فقد قامت **لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب** بتقرير هذه الجلسات وتدوينها لتكـــــون بين أيدي

الباحثين والمؤمنين وطلاب الحقيقة، سائلين المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل ذخرًا لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن ينفع به عباده المؤمنين، إنه سميع مجيب.

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

صفر الأحزان ١٤٤٧هـ | ٢٠٢٦م

ماذا كتب النبي ﷺ لأبي بكر وعمر بخط يده؟ وكيف كتب وهو أمّي؟

استهلال

كما هو معلوم عندنا نحن الإمامية، أن القرآن نزل جملة واحدة في تلك الليلة المباركة من شهر رمضان- أي ليلة القدر- بمعانيه لا بألفاظه بالضرورة على قلب المصطفى ﷺ .

ثم كان بعد ذلك ينزل بألفاظه مفرقًا على مر الأيام والليالي تبيانًا وفرقانًا. وكلما جاءت ليلة القدر، يُزاد في البيان والفرقان؛ إذ فيها يُفرق كل أمر حكيم، فيُفرق -على سبيل المثال- ما بين المحكم والمتشابه، ويُرد الأمر والنهي.

ومع انقطاع الوحي اللفظي برحيل رسول الله ﷺ ، فإن هذا الوحي لم ينقطع ، بل استمر مع رسول الله ﷺ تبيانًا وفرقانًا، واستمر من بعده مع الأئمة الميامين من آله عليهم السلام ، وهو مستمر اليوم في زماننا هذا مع مولانا

صاحب الأمر عليه السلام، فلم ينقطع هذا الوحي المعنوي أبدًا، وإنما الذي انقطع هو الوحي اللفظي فحسب.

رعب الشيخين في ليلة القدر!

وفي هذا الصدد، ثمة حديث شريف خاص أخرجه ثقة الإسلام الكليني (رحمة الله عليه) في كتاب "الكافي الشريف" بسنده عن الحسن بن العباس بن الحريش، عن أبي جعفر[١] عليه السلام، عن أبي عبد الله[٢] عليه السلام، قال:

«كان علي عليه السلام كثيرًا ما يقول».

ليس مرة ولا مرتين، بل كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيرًا ما يروي هذا وينبه عليه-:

«اجتمع التيمي والعدوي».

التيمي هو أبو بكر بن أبي قحافة، والعدوي هو عمر بن الخطاب؛ نسبة إلى قبيلتي تيم وعدي-. وهذه الحادثة يحكيها أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من مرة مستشهدًا بها.

«عند رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بتخشع وبكاء».

---

[١] والمراد به الإمام التاسع من أئمة أهل البيت وهو الإمام الجواد عليه السلام.

[٢] والمراد به الإمام السادس وهو الإمام الصادق عليه السلام.

لقد جاء أبو بكر وعمر ذات مرة إلى النبي ﷺ ففوجئا به يقرأ هذه السورة وهو في حالة شديدة من الخشوع والبكاء!

«فيقولان: ما أشد رقتك لهذه السورة! فيقول رسول الله ﷺ: لما رأت عيني ووعى قلبي، ولما يرى قلب هذا من بعدي» مشيرًا إلى علي عليه السلام.

إن هذه الرقة والخشوع البالغ الذي انتاب النبي ﷺ حتى أبكاه وهو يقرأ سورة القدر، إنما هو بسبب ما رأته عينه ووعاه قلبه من الحقائق الغيبية والمراسم الإلهية النبوية الخاصة، من نزول الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر. والأمر اللافت للانتباه هنا هو أن النبي ﷺ لا يحصر هذه الحالة التي تنتابه إثر ما يراه في ليلة القدر بنفسه الشريفة، بل يعم بها عليًا عليه السلام؛ إذ أشار إليه مؤكدًا أن قلبه سيعي بعده ما وعاه قلب النبي.

لقد أوضح النبي ﷺ أنه في حياته يأتيه هذا الأمر من عند الله عز وجل تحمله الملائكة حتى مطلع الفجر في كل ليلة قدر من كل سنة، فتصيبه هذه الحالة من الخشوع والتأثر الشديد. وهذا يجري طالما هو حي، حيث تنزل عليه الملائكة بإذن ربهم من كل أمر.

أما بعد رحيله، فإن الذي ستنزل عليه الملائكة بالأمر الإلهي هو علي أمير المؤمنين عليه السلام؛ ولذلك يبكي النبي ﷺ لما سيرى ويعي قلب علي من بعده.

«فيقولان : وما الذي رأيت وما الذي يرى ؟ قال فيكتب لهما في التراب ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾. ثمَّ يقول : هل بقي شيء بعد قوله عزّ وجلّ ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾؟» فيقولان :لا».

لقد نص الله تعالى في هذه الآية المباركة على أن الملائكة والروح ينزلون في ليلة القدر بإذن ربهم من كل أمر. فهل يبقى شيء بعد هذه الأمور؟ إذا كانت هذه الأمور علمية تشتمل على علوم من الله، فهل يبقى شيء وراءها؟ أم لا بد أن يكون الذي تنزل عليه الملائكة والروح عالمًا بكل هذه الأشياء دون أن يشذ عنه شيء؟

و إذا كانت هذه الأمور أقضية من الله عز وجل يوجه فيه ولي الأمر ليقضي في المسائل المقدرة، فهل يبقى شيء وراء ذلك؟ لا يبقى بالتأكيد.

إذن، كل الأمور تُعطى لصاحب الأمر عليه السلام بحسب المقتضيات والشرائط واللوازم في هذه الليلة العظيمة. ولذلك يسألهما النبي ﷺ : هل تريان أنه يبقى أمر بعد قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾؟ فيجيبان: لا، لا يبقى شيء بعد ذلك.

«فيقول ﷺ : هل تعلمان من المنزّل إليه بذلك؟

فيقولان : أنت يا رسول الله، فيقول :نعم».

لقد تدرج النبي ﷺ في سؤالهما؛ سألهما أولًا إن كانا يعرفان من تنزل عليه الملائكة في ليلة القدر، فأجابا بأنه هو. ثم سألهما:

«هل تكون ليلة القدر من بعدي ؟ فيقولان : نعم، قال :

فيقول : فهل ينزل ذلك الأمر فيها ؟ فيقولان: نعم ، قال :

فيقول : إلى من ؟ فيقولان : لا ندري».

إن لازم استمرارها أن الملائكة والروح لا بد أن ينزلوا بالأمر الإلهي على شخص ما في كل سنة بعد رحيل النبي؛ ولذا وجه إليهما السؤال الحاسم: فعلى من تنزل من بعدي؟

« فقال علي عليه السلام : فيأخذ برأسي ويقول : إن لم تدريا فادريا ، هو هذا من بعدي. قال : فإن كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله ﷺ من شدَّة ما يداخلهما من الرّعب!»[١].

لقد كان التيمي والعدوي (أبو بكر وعمر -ضاعف الله عذابهما-) يرتعبان رعبًا شديدًا في كل ليلة قدر من كل سنة بسبب هذا الموقف وتلك

---

[١] الكافي الكليني ج ١ ص٢٤٩.

الحادثة؛ لأنهما كانا يعلمان يقينًا أن الملائكة والروح يتنزلون من السماء على صاحب الأمر في ذلك الزمان وهو أبو الحسن علي عليه السلام. ومعنى ذلك أن الله تعالى يكلفه بأمور، ويقضي له بقضاء، ويرسل إليه ببينات وهدى، ويكلفه بتكاليف قد يكون من بينها ما يجهز عليهما لو أذن الله تعالى بذلك؛ ولذا كان يداخلهما الرعب في كل ليلة قدر.

وكانا يعرفان تلك الليلة تحديدًا للحالة التي تنتابهما فيها من الرعب والخوف، على الرغم من أن ليلة القدر مرددة بين عدة ليالٍ (وإن كان أقواها الليلة الثالثة والعشرون)، إلا أنهما كانا يميّزانها يقينًا بتلك العلامة النفسية.

الرد على شبهة أمية النبي وعلاقته بالقراءة والكتابة

إن الشاهد من هذا الحديث الشريف -والذي نتفرع منه إلى بحث جديد- هو أن النبي ﷺ خط بيده الشريفة وإصبعه لأبي بكر وعمر على التراب آية: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

وهنا ينقدح سؤال وتساؤل مهم: كيف كتب النبي ﷺ لهما ذلك، والحال أن المشهور بين عامة الناس أنه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب؟ وهو التفسير الشائع للآيتين الكريمتين في سورة الأعراف؛ قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وقوله سبحانه:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢].

للتفصي من هذا الإشكال وحله، نقول: إن المراد بالنبي "الأمي" صلى الله عليه وآله ليس الذي لا يعرف القراءة والكتابة، بل المراد به "النبي المكي"؛ أي الذي ينتمي إلى مكة المكرمة. ويدل على ذلك عطف الآيات الكريمة الأخرى في الكتاب العزيز.

---

[١] سورة الأعراف: ١٤٨.

[٢] سورة الأعراف: ١٤٩.

معاني الأمية في كتاب الله

ففي سورة الجمعة نقرأ:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١].

إن "الأميين" هنا جمع "الأمي". وهؤلاء الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يوصفون بأنهم أميون، ولا يمكن تصور أنهم جميعًا كانوا لا يتقنون القراءة والكتابة؛ إذ كان فيهم -و إن كانوا قلة- من يحسن ذلك. فالمراد بالأميين هنا هم القاطنون في "أم القرى"، أي المكيون.

ونجد مصداقًا آخر في سورة آل عمران، في قوله تعالى:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ

---

[١] سورة الجمعة:١-٣.

أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[١].

انتبهوا جيد؛ هناك فئتان أمر النبي ﷺ بخطابهما ومطالبتهما بالإسلام: الفئة الأولى هي "الذين أوتوا الكتاب" من اليهود والنصارى، والفئة الثانية هي المشركون المكيون العرب الذين سماهم الله عز وجل هنا "الأميين".

وفي سورة آل عمران أيضًا، يقول تعالى:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ما هي حجتهم في هذه الخيانة وعدم تأدية الأمانة لغيرهم؟

حجتهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾. فقد كانوا يزعمون جواز خيانة غيرهم من الأميين؛ أي المشركين والعرب والمكيين من غير اليهود والنصارى وغير من أوتي الكتاب. فاستباحوا الغدر بالآخرين

---

[١] سورة الجمعة:٢١.

[٢] سورة آل عمران:٧٦.

وخيانتهم، ونسبوا هذا التشريع المحرف إلى الله عز وجل كذبًا مع علمهم بحقيقة كذبهم. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مرادهم من قولهم هذا أنهم لا إثم عليهم في خيانة من لا يقرأ ويكتب لمجرد كونه أميًا بهذا المعنى الاصطلاحي.

نعم، إن الله تعالى يقول في سورة البقرة:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1].

وهنا لا يراد بالأميين "المكيين" بطبيعة الحال، بل إن السياق والقرينة في الآية يدلان على إرادة الأمية بمعنى عدم إحسان القراءة والكتابة؛ لقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ أي لعدم معرفتهم بالقراءة لا يقرؤون الكتاب المنزل إليهم بل يكتفون بالظنون والأوهام.

أما علة تسمية المكيين بالأميين فهي ظاهرة بالعطف على آيات الكتاب العزيز؛ نظرًا لانتسابهم إلى "أم القرى" وهي مكة المكرمة.

ففي سورة الأنعام يقول تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ

---

[1] سورة البقرة: ٧٩.

يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[١].

فالنبي مأمور بإنذار أم القرى (مكة) ومن حولها من العرب.

وفي سورة الشورى يقول سبحانه:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٢].

ويدخل في مصطلح "الأميين" العرب عمومًا بالتبعية؛ لأن مكة بالنسبة إليهم هي أم القرى، وبقية العرب بمثابة التابعين لمكة وأهلها الذين كانوا يُعدون "أهل الله"، وبها بيت الله الحرام الذي يحجون إليه في كل عام.

فكان لمكة ثقل اجتماعي، وديني، وسياسي، واقتصادي، ومعرفي، وثقافي خاص، فكانت سيدة القرى بالنسبة للعرب والمحتكم إليها، وكانوا ينظرون إليها نظرة تجعل قراهم تتبع أم قراهم.

فالأميون إذن هم المكيون خصوصًا، والعرب عمومًا بالتبعية؛ لأن مكة أم قراهم. وجرت سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء أن يبعثهم في هذه العواصم والمدن الكبرى التي تمثل "أم القرى"، كما قال سبحانه في سورة القصص:

---

[١] سورة الأنعام:٩٣.

[٢] سورة الشورى:٨.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[١].

إذن، من خلال عطف هذه الآيات بعضها على بعض، نفهم أنه لا يوجد تصريح أو صراحة في القرآن الكريم تدل على أن المراد بالنبي الأمي هو من لا يقرأ ولا يكتب، بل الأقرب من هذا السياق والعطف أن المراد به النبي المكي المنتسب إلى أم القرى، وأن الأميين هم المكيون من غير أهل الكتاب.

التمييز بين المعرفة بالقراءة والكتابة والممارسة العملية لها

بناءً على ما تقدم، نثبت ونؤمن بأن النبي ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة يقينًا.

ولكن يجب التمييز بين معرفته بالقراءة والكتابة كقدرة وعلم، وبين ممارسته العملية لهما؛ إذ إن الممارسة الفعلية لم تكن من عادته وسيرته، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾. لم يكن النبي ﷺ يمارس القراءة والكتابة، وليس معنى ذلك أنه لا يعرفهما.

---

[١] سورة القصص: ٦٠.

ونحن نقف عند حاق هذه الآية وحدودها ولا نتجاوزها كما فعل أهل الخلاف.

فالآية تفيد أن النبي لم يكن يضع كتابًا أمامه (كالتوراة أو الإنجيل) ليتلو منه، ولم يُشاهد وهو يخط ويكتب بيمينه؛ لكي يُدفع ارتياب المبطلين وشبهاتهم، والذين لو رأوه يفعل ذلك لادعوا أن القرآن الذي جاء به إنما هو ترجمة أو منقول من تلك الكتب التي يتلوها ويخطها.

والمراد بالكتاب هنا يقينًا هو الكتاب الديني ذو المصدر الإلهي، بقرينة عطفه على مصطلحات "أهل الكتاب" و"الذين أوتوا الكتاب".

المعرفة بالشيء شيء، والممارسة العملية له شيء آخر. فالصحيح أن النبي ﷺ لم يكن يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه تجنبًا للشبهات، ولكنه قد يفعل ذلك نادرًا في موارد محدودة جدًا بعيدة عن مواضع الريبة التي قد يتخذها خصوم الإسلام حجة لاتهامه بأخذ الوحي من كتب سابقة.

شواهد تاريخية على قراءة النبي وكتابته

من الموارد الاستثنائية المحدودة التي خط فيها النبي ﷺ بيده الشريفة ما مر معنا في رواية الكافي الشريف من أنه خط في التراب لأبي بكر وعمر: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

وثمة مورد آخر يتعلق بالقراءة ورد في كتاب "علل الشرائع " للشيخ الصدوق، في رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

« كان ممّا منّ الله عزّ وجلّ على رسول الله - ﷺ أنّه كان يقرأ ولا يكتب. فلمّا توجّه أبو سفيان إلى أحد ، كتب العبّاس إلى النّبيّ. فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة ، فقرأه ولم يخبر أصحابه ، وأمرهم أن يدخلوا المدينة.فلمّا دخلوا المدينة ، أخبرهم»[١].

فهذا الخبر ظاهر وصريح في أن النبي ﷺ كان يقرأ، بدليل قراءته لكتاب العباس بن عبد المطلب الذي كان ينذره فيه بتوجه أبي سفيان بجيشه للحرب. وقد يبدو للوهلة الأولى وجود تنافٍ بين خبر "علل الشرائع " الذي يقول «كان يقرأ ولا يكتب» وبين خبر "الكافي" الذي يثبت أنه كتب في التراب، وسيتضح هذا التنافي ويرتفع عند عرض فذلكة هذا البحث ومحصلته إن شاء الله.

شواهد من طرق أهل الخلاف

وأما من طرق أهل الخلاف، فقد رووا أيضًا بعض الموارد التي تثبت قراءته وكتابته. ومن ذلك ما ورد في صحيح البخاري في شأن وثيقة صلح

---

[١] علل الشرائع للصدوق ص ١٢٥.

الحديبية، حيث جاء بلفظين:

- اللفظ الأول: «**فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله**»[١].
- اللفظ الثاني: «**فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله**».

وقد حاول بعض المخالفين صرف هذين اللفظين عن ظاهرهما، وادعوا أن معنى «فكتب» أي أنه أملى على غيره فكتب، وهو صرف يرده قول الشعبي الصريح الذي نقله القرطبي في تفسيره إذ قال:

«**ما مات النبي ﷺ حتى كتب**»[٢]!

أي أنه تعلم الكتابة وأحسنها في نهاية المطاف. وهذا القول لم ينفرد به الشعبي، بل نجد تفصيله في تفسير "الدر المنثور" للسيوطي حيث قال:

«**وأخرج أبو الشيخ من طريق مجالد قال: حدثني عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه قال: ما مات النبي ﷺ حتى قرأ وكتب. فذكرت هذا الحديث للشعبي فقال:**

---

[١] صحيح البخاري برقم ٣١٨٤.

[٢] تفسير القرطبي ج ١٣ ص٣٥٢.

صدق، سمعت أصحابنا يقولون ذلك»[١].

والشعبي من كبار التابعين المخضرمين، وينقل هذا القول عن جماعة من الصحابة الذين عاصروا زمن النبوة، مما يكشف عن وجود شواهد مأثورة تثبت أنه ﷺ ما مات حتى قرأ وكتب.

وبذلك يندفع محاولات صرف اللفظ عن ظاهره بالادعاء أنه أملى ولم يكتب بنفسه. كما يمكن الجمع بين اللفظين بالقول إن عدم إحسانه للكتابة كان أمرًا سابقًا، ثم علمه الله تعالى فأحسن القراءة والكتابة (وهذا يجري وفق مبانيهم واعتقادهم هم).

وعلى أية حال، فإن الراوي البراء بن عازب نقل ما رآه عيانًا من فعلية الكتابة، حيث رفض أمير المؤمنين عليه السلام -وفق روايتهم- أن يمحو كلمة "رسول الله" تأدبًا وإجلالًا للنبي عندما طلب منه المشركون ذلك، فأخذ النبي ﷺ الكتاب ومحاها بنفسه وكتب بيده "ابن عبد الله".

فالبراء بن عازب شهد واقعة الكتابة الفعلية، وقوله «وليس يحسن يكتب» إما أنه صدر منه بناءً على ظنه السابق، أو لما رآه من صعوبة الكتابة على النبي لعدم تمرسه وتعوده عليها. والخلاصة أن المشاهدة الحسية لفعلية الكتابة هي المعتمدة دون الظن أو الاستصعاب.

---

[١] الدر المنثور ج ٣ ص ١٣١.

ولو كان الكاتب شخصًا آخر غير النبي بالإملاء لنُقل ذلك وتوفرت الدواعي لتبيانه، وحيث لم يذكر ذلك فالظاهر المعتمد هو أنه كتب بنفسه ﷺ.

أما ما جاء من طرقهم في قراءته ﷺ، فثمة أحاديث كثيرة تذكر ما رآه مكتوبًا وقرأه ليلة الإسراء والمعراج. ومن ذلك ما أورده السيوطي في "الخصائص الكبرى":

«وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته بعلي»[١].

وبغض النظر عن مناقشة تضعيفهم لهذه الرواية، فإن مقصودنا هو الإشارة إلى كثرة الأحاديث الدالة على قدرته على القراءة في مأثوراتهم.

ومن الطريف أن السيوطي أورد بعد هذا الحديث مباشرة رواية أخرى مصطنعة من وضع "الدودة البكرية" التي لم تهدأ حتى وضعت حديثًا منافسًا يذكر أسماء الطغاة الثلاثة، ونسبوه هذه المرة إلى علي عليه السلام لإعطائه مصداقية زائفة. والرواية الأولى رواها أنس بن مالك وهو بعيد عن أمير المؤمنين ومخالف له، فلا مصلحة له في وضع فضيلة لعلي عليه السلام، مما يجعل

---

[١] الخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص١٠.

روايته بعيدة عن مظنة الاختلاق. أما روايتهم المزيفة المنسوبة لعلي فلا تصمد أمام النقد العلمي الرصين، وهي كمن يضع السرج على البقر.

ومن الأحاديث الأخرى المروية عندهم ما أخرجه ابن ماجة عن النبي ﷺ أنه قال:

«رأيت ليلة أسري بي فرأيت مكتوبًا على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر».

وهذا كله يثبت وجود أدلة وشواهد على قراءته وكتابته في موارد استثنائية محددة.

دراسة أحاديث باب تسمية النبي بالأمي في علل الشرائع

نعود الآن إلى خبر الشيخ الصدوق في "علل الشرائع" لمناقشة دلالته ورفع التعارض الظاهري. ولكي نفهم الأمر جيدًا، يجب دراسته في سياق الأحاديث الواردة في الباب نفسه، والمعنون بـ "باب العلة التي من أجلها سمي النبي ﷺ الأمي". ويشتمل هذا الباب على ثمانية أحاديث:

الحديث الأول

بسنده عن جعفر بن محمد الصوفي قال:

« قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فقلت يا ابن رسول الله لم سمي النبي الأمي فقال ما يقول الناس

قلت يزعمون أنه إنما سمي الأمي لأنه لم يحسن أن يكتب فقال عليه السلام كذبوا عليهم لعنة الله أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو قال بثلاث وسبعين لسانا، وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾»[1].

إن هذا الحديث يحمل دلالة قوية جدًا؛ إذ يلعن الإمام الجواد عليه السلام من ينتقص من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله بادعاء عدم معرفته بالقراءة والكتابة، مؤكدًا أنه كان يقرأ ويكتب بجميع الألسن واللغات، وأن تسميته بالأمي نسبة إلى مكة أم القرى.

الحديث الثاني

عن علي بن حسان، وعلي بن أسباط، وغيره، رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال:

---

[1] علل الشرائع للصدوق ج ١ ص١٢٥.

قلت إن الناس يزعمون أن رسول الله ﷺ لم يكتب ولا يقرأ، فقال: كذبوا، لعنهم الله، أنى يكون ذلك وقد قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟ قال: قلت فلم سمي النبي الأمي؟ قال: لأنه نسب إلى مكة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، فأم القرى مكة، فقيل: أمي لذلك»[1].

الحديث الثالث

بسنده عن يحيى بن عمران الحلبي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال: سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، قال: بكل لسان»[2].

---

[1] كسابقه.

[2] كسابقيه.

وأورده الصدوق تعضيدًا لكون التبليغ والتعليم من النبي ﷺ يجري بكل اللغات.

الحديث الرابع

«عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، قال: حفيظ بما تحت يدي، عليم بكل لسان»[1].

وجاء به الصدوق استطرادًا لبيان أنه إذا كان يوسف يتقن كل اللغات، فنبينا الأكرم ﷺ أولى بذلك لسيادته وأفضليته على سائر الأنبياء.

الحديث الخامس

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام، وهو الحديث المتقدم الذي يذكر منّ الله على رسوله بأنه كان يقرأ ولا يكتب وقراءته لكتاب العباس بن عبد المطلب في شأن معركة أحد.

الحديث السادس

عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

[1] علل الشرائع للصدوق ج ١ ص١٢٦.

«كان النبي ﷺ يقرأ الكتاب ولا يكتب»[١].

الحديث السابع

عن الحسن بن زياد الصيقل قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان مما منَّ الله عز وجل به على نبيه ﷺ أنه كان أميا، لا يكتب ويقرأ الكتاب.»[٢].

وهنا نلاحظ احتمال وجود سقط حرف (لا) في عبارة الحديث لتكون "لا يكتب ولا يقرأ"، أو أن المراد نفي الكتابة فقط مع إثبات القراءة ليتوافق مع الروايات السابقة.

فالأمي في اللغة هو من لا يقرأ ولا يكتب، ومن المستبعد إطلاق الوصف على من يقرأ دون أن يكتب. وبعض النسخ المنقولة عن علل الشرائع احتوت على زيادة "ولا يقرأ"، ولكن لم نتحقق من وجودها في النسخة الأصلية أو أنها من إضافة النساخ لاحقًا. وإذا ثبتت هذه الزيادة يقع التعارض مع ما تقدم من إثبات قراءته لكتاب العباس، أما بدون الزيادة فيبقى اللفظ مضطربًا في دلالته على الأمية.

---

١ كسابقه.

٢ كسابقيه.

الحديث الثامن

بسنده عن مسلم بن خالد المكي عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال:

«ما أنزل الله تعالى كتابا ولا وحيا إلا بالعربية، فكان يقع في مسامع الأنبياء عليهم السلام بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبينا صلى الله عليه وآله بالعربية، فإذا كلم به قومه كلمهم بالعربية، فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحدنا لا يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بأي لسان خاطبه إلا وقع في مسامعه بالعربية، كل ذلك يترجم جبرئيل عليه السلام عنه، تشريفا من الله عز وجل له»[1].

إن العربية هي أشرف اللغات ولغة أهل الجنة، والوحي الإلهي ينزل بها أصلًا. وحين يبلغ الأنبياء ممن يتحدثون بلغات أخرى، يترجم جبرائيل لهم ليقع بلسان قومهم تسهيلًا لهم.

أما نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله فتكريمًا له يقع الوحي في مسامعه بالعربية مباشرة، وإذا خاطبه أي شخص بأي لغة أخرى، فإن الخطاب يقع في مسامعه الشريفة بالعربية مباشرة عبر ترجمة جبرائيل إعظامًا وتفضلًا من الله تعالى عليه.

---

[1] علل الشرائع للصدوق ج ١ ص١٢٦.

قراءة نقدية وملاحظات منهجية حول الروايات

بعد استعراض هذه الأحاديث الثمانية، نسجل الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى

أن الشيخ الصدوق قدّم الخبرين الأولين المرويين عن الإمام الجواد عليه السلام على سائر الأخبار، وهو منهج سار عليه الرواة القدماء كالكُليني في الكافي؛ إذ يقدمون الروايات الأصح والأولى بالاعتماد في صدور الباب، ثم يوردون الروايات الأخرى من باب الأمانة العلمية و إن كانت معارضة في ظاهرها أو يعتريها الاضطراب.

فتقديم الصدوق لأحاديث الإمام الجواد يوضح اعتماده للقول بأن الأمي هو المنسوب لمكة المكرمة وأنه ﷺ كان يقرأ ويكتب بعشرات اللغات. أما الروايات المتأخرة التي تنفي كتابته فتعاني من اضطراب لفظي ودلالي واضح .

الملاحظة الثانية

لو سلمنا بظاهر الأخبار المتأخرة دون تأويل، فيكفي لرّدها أنها موافقة لمعتقد "العامة العمياء" الذين ينسبون الجهل بالقراءة والكتابة للنبي ﷺ .

وقاعدتنا الفقهية والحديثية عند تعارض الروايات تقتضي الأخذ بما خالف العامة؛ لأن الرشد في خلافهم. كما يمكن حمل روايات نفي القراءة

والكتابة إما على التقية ومحاكاة عقيدة الطرف الآخر، أو على نفي الممارسة العملية المعتادة كما أوضحنا سابقًا. وعلم النبي بالقراءة والكتابة من كمالاته الذاتية التي لا يمكن نفيها عنه؛ إذ هو الأكمل والأرقى في كل فضيلة وعلم ومعرفة على الإطلاق.

الملاحظة الثالثة

وهي ملاحظة بالغة الأهمية سنفصل فيها في الفصل المقبل إن شاء الله؛ وتتمثل في أن السياق القرآني نفسه دال على صحة رواية الإمام الجواد عليه السلام في تفسير الأمي بالمكي المنسوب لأم القرى. وهو طرح علمي دقيق لم يسبقنا إليه أحد من المفسرين فيما نعلم، وسنبينه بوضوح ليتجلى بهاؤه وعمقه.

أما بعض مفسري الشيعة الذين مالوا لمذهب العامة وفسروا الأمية بالجهل بالقراءة والكتابة فقد وقعوا في خطأ فادح ناتج عن اعوجاج السليقة؛ إذ كيف يعرضون عن مأثور الأئمة المعصومين المتوعد باللعن لمدعي عدم معرفة النبي للكتابة، ويأخذون بروايات مضطربة موافقة للعامة؟ وعلينا دومًا التواضع لأهل بيت العصمة عليهم السلام فهم عدل القرآن وقرناؤه في الثقلين، وعلينا الصبر واللبث عند عدم إدراك كنه رواياتهم حتى يتكشف لنا جوهرها العلمي بمرور الأيام.

أما الإشكالات اللغوية الركيكة التي ساقها بعضهم -مثل الادعاء بأن النسبة لأم القرى يجب أن تكون "قروي" لا "أمي" بناءً على قواعد النحاة كابن عقيل وغيره- فيرد عليها بأن المعصوم عليه السلام هو إمام اللغة ومصدرها الأعلائي، والقرآن الحكيم حاكم على قواعد النحاة التي وُضعت في عصور متأخرة بناءً على استقراء ناقص واجتهادات لغوية متباينة بين الكوفيين والبصريين وغيرهم. فلا يصح إخضاع النص المعصوم لقواعد اجتهادية متأخرة، بل الصواب هو جعل النص المعصوم حاكمًا وأعلائيًا في اللغة والتشريع .

جعفر السبحاني مثالاً
لاعوجاجِ السّـليقة والتغرّب
عن نـور العترة عليهم السلام

مفهوم النبي الأمي في منظومة العترة الطاهرة

لقد ذكرنا في الفصل السّابق، أننا نلتزم بالمعنى الذي يفيد بأن "النبي الأمي" إنما هو النبي المنسوب إلى "أم القرى"، وهي مكة المكرمة؛ أي أنه النبي المكي، وليس بمعنى الجاهل بالقراءة والكتابة -عياذًا بالله- حتى لا يكون في ذلك منقصة في حقه الشريف، وحاشاه ذلك. وقد التزمنا بهذا المعنى عطفًا على آيات الكتاب العزيز، واستنارة بنور العترة الطاهرة عليهم السلام.

حيث روي عندنا إنكار شديد ونكير عظيم من إمامنا محمد الجواد عليه السلام، على أصحاب القول المخالف من الذين زعموا أن النبي إنما سُمي "الأمي" لأنه لم يكن يحسن الكتابة. وقد رد الإمام الجواد عليه السلام على هذا الزعم مستدلًا بقوله تعالى:

«﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ﴾ فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو قال بثلاث وسبعين لسانا، وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾»[1].

فهذا هو المعنى الذي نلتزم به، وهذه هي عقيدتنا.

مناقشة أطروحة جعفر السبحاني وتفنيد الإشكال الأول

ولكن، ومع الشديد الأسف، برز من المنسوبين إلينا مَن حاول تسخيف هذا القول وتوهينه، ألا وهو الشيخ المعاصر جعفر السبحاني في كتابه "مفاهيم القرآن". حيث يقول في كتابه ما نصّه:

"ربما يقال إن الأمي هو المنسوب إلى أم القرى، وهي علم من أعلام مكة، كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وعلى ذلك فلا يدل على أن النبي كان أميًا بمعنى أنه لا يقرأ ولا يكتب. ويُلاحظ عليه: أولًا: إن أم القرى ليست من أعلام مكة، وإنما هي

[1] علل الشرائع للصدوق ج ١ ص١٢٥.

مفهوم كلي لها مصاديق، منها مكة المكرمة. يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾؛ أي حتى يبعث في أم القرى وعاصمتها رسولًا. وقال ابن فارس في المقاييس: كل مدينة هي أم ما حولها من القرى".

هذا هو الإشكال الأول الذي طرحه السبحاني على القول بأن الأمي هو المنسوب إلى أم القرى، حيث زعم أن "أم القرى" ليست اسمًا عَلَمًا لمكة، بل هي وصف كلي ينطبق على كل قرية أو مدينة تكون أمًّا ومركزًا لما حولها من القرى، و إذا انتفت هذه العَلَمية -حسب رأيه- لم تصح تلك النسبة اللغوية، إذ لا يمكن النسبة إلى أم القرى والحال أنها ليست بعَلَم مخصوص.

وفي ردنا على ذلك الإشكال نقول: إن العَلَمية في لغة العرب تتحقق وتثبت بإطلاق الاستعمال أو بغلبته على اللسان. والعرب في لغتهم لا يطلقون اسم "أم القرى" بالتعريف والإطلاق إلا على مكة المكرمة، وذلك لعظيم خطرها، وشرفها، وقدمها، وأسبقيتها، ومركزيتها التاريخية؛ فهي عاصمة بلاد العرب أصلًا. ولو بحثتم في الكتب والمصادر التأريخية لعلمتم أنه ما تَقَرَّت القرى في الجزيرة إلا بعد مكة، فكانت مكة هي أولى القرى وجودًا، وقبل ذلك كانت العرب تسكن الخيام وما شاكلها، ولم تكن لهم قرى

مستقرة في جزيرة العرب. فلما كانت مكة هي الأصل، ولها الأسبقية والأقدمية، صارت أمًّا لغيرها من الحواضر.

وصحيح أن بعض القرى أو المدن الأخرى قد تُسمى "أمًّا" بلحاظ ما حولها أو ما يُنسب إليها، ولكن إذا أطلق العرب هذا اللفظ جُردًا فقالوا: "أم القرى" وسكتوا، فإن الذهن ينصرف مباشرة وبلا تردد إلى مكة المكرمة، ويصبح هذا اللفظ بملاك الإطلاق وغلبة الاستعمال عَلَمًا عليها، فالعَلَمية باقية ومتحققة وليست منتفية كما زعم السبحاني.

وكشاهد تاريخي ولغوي على ذلك، نورد ما ذكره الأديب الجاحظ في رسائله، حيث قال مستشهدًا ببيت شعري:

"«غزاكم أبو يكسوم في أمِّ داركم ... وأنتم كقِبْص الرَّمل أو هو أكثر»[١]"

هذا البيت الشعري هو من جملة أبيات رد بها الشاعر "الحيقطان" على الشاعر "جرير" لما هجاه جرير بسبب سواد بشرته في يوم عيد، وهو بيت تهكمي ليس من المناسب ذكر تفاصيله في مثل هذا المقام.

وقد رد عليه الحيقطان بأبيات يُعير فيها العرب بالقياس إلى انتماءات الأحباش، حيث يعتبر العرب بيضًا بالنسة إليهم. ومما قال في هجائهم وفخر الأحباش عليهم: "غزاكم أبو يكسوم"، وأبو يكسوم هو كنية أبرهة

---

[١] الرسائل للجاحظ ج ١ ص١٨٥.

الحبشي صاحب الفيل، وهو يفتخر هنا بما فعله أبرهة، قائلًا للعرب: إن أبرهة غزاكم في "أم داركم"، والمقصود بأم داركم هنا هو أم قراكم التي هي مكة المكرمة. لقد وصل إلى هناك، وأنتم خليتم بينه وبين البيت الحرام وفررتم إلى رؤوس الجبال، مع أن عددكم كان كبيرًا جدًا كقبص الرمل أو هو أكثر من ذلك نفوسًا، ومع ذلك لم تدفعوا الغزو عن أنفسكم.

وقد زعم الشاعر في بقية أبياته أنه لولا تدخُّل الله تعالى وحفظه لنبوة نبي آخر الزمان لما دُفع هذا الغزو عن العرب. وعمومًا، لا يهمنا الآن شأن الحيقطان ولا جرير، ولا هذه النعرات العنصرية المقيتة بين العرب والأحباش أو بين البيض والسود، ولكن الشاهد يكمن في استشهاد الجاحظ بهذا البيت في كتاب ضمن رسائله وهو كتاب "فخر السودان على البيضان".

ويكمل الجاحظ معلقًا وشاحنًا لقول الحيقطان:

"فإنه يعني صاحب الفيل حين أتى ليهدم الكعبة. يقول: كنتم في عدد الرَّمل، فلم فررتمْ منه ولم يلقه أحدٌ منكم حتَّى أفضى إلى مكة، ومكة أمُّ القرى، ودار العرب، هي جزيرة العرب ومكة قريةٌ من قراها، ولكن لما كانت أقدمها قدما، وأعظمها خطرًا، جُعِلت لها أمًّا».

إذن، دار العرب هي جزيرة العرب، فلما قال الحيقطان: "غزاكم في أم داركم" أي أم قراكم، وهي أم القرى مكة.

«ولذلك قيل لفتح مكة: فتح الفتوح. وعلى مثل ذلك سميت فاتحة الكتاب: أمَّ الكتاب والعرب قد تجعل الشيء أمَّ ما لم يَلِدْ. إلى أن يقول الجاحظ: وقد أبان الله تعالى مكة والبيت حين قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾»[1].

فهذا هو ردنا الأول على أول ما طرحه السبحاني في محاولته لتوهين وتسخيف هذا القول، فعندما حاول نفي العَلَمية عن مكة في وصف "أم القرى"، أثبتنا أن العَلَمية ثابتة بلحاظ إطلاق الاستعمال وغلبته.

ثم نسأل السبحاني: ما قولك في نسبتك لنفسك بأنك "شيعي"؟ مع أن كلمة "شيعة" في أصلها اللغوي هي كلمة كلية لها مصاديق متعددة في التأريخ واللغة، كما قيل شيعة عثمان، وشيعة آل أبي سفيان، وهلم جرا.

---

[1] الرسائل للجاحظ ج ١ ص١٨٦.

فهي من حيث الأصل مفهوم كلي، لكنها بملاك الغلبة والاستعمال صارت عَلَمًا وجزءًا من اسمًا طائفيًا لشريحة مخصوصة من المسلمين، وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام .

يقول المرتضى الزبيدي في كتاب "تاج العروس":

"«أصل الشيعة: الفرقة من الناس على حدة، وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شيعة. قال الكميت:

وما لي إلا آل أحمد شيعة

وما لي إلا مشعب الحق مشعب

ويقع على الواحد، والاثنين، والجمع ، والمذكر، والمؤنث، بلفظ واحد، ومعنى واحد. وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته، رضي الله عنهم أجمعين، حتى صار اسما لهم خاصا، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عرف أنه منهم"»[1].

ولا نظن السبحاني ينكر صحة هذه النسبة بطبيعة الحال، مع أنها بناءً على قاعدته التي أصلها لا تصح ؛ لأنها مجرد كلمة كلية لها مصاديق.

---

[1] تاج العروس للزبيدي ج ٢١ ص٣٠٣.

فإذا قال السبحاني إن الغلبة حققت صحة النسبة في اسم الشيعة، قلنا له: إن الغلبة والأقدمية والإطلاق حققت كذلك صحة النسبة لأم القرى، فالأمي هو الذي بُعث في الأميين؛ أي المكيين، أي العرب من قريش وما والاها، حيث بعث الله فيهم رسولًا منهم. وبذلك يظهر أن الإشكال الأول ركيك للغاية.

القواعد الصرفية في النسبة وتفنيد الإشكال الثاني

لننتقل الآن إلى إشكاله الثاني الذي سطره في كتابه "مفاهيم القرآن"، حيث يقول:

> **"ثانيًا: لو صح كونها من أعلام مكة، فالصحيح عند النسبة إليها هو (القروي) لا (الأمي). فالصحيح لغة في النسبة إلى أم القرى أن نقول: فلان قروي لا أمي. وبما أن القرآن الحكيم نص على كونه ﷺ أميًا: ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، فمعنى ذلك أنه ما أراد النبي المكي المنسوب إلى أم القرى، بل أراد الأمي بمعنى مَن لا يجيد القراءة والكتابة"**[١].

هذا هو زعم السبحاني، حيث ادعى أن النسبة إلى أم القرى بلفظ "الأمي"

---

[١] مفاهيم القرآن السبحاني ج ٧ ص٧٧-٨٣.

لا تصح من الناحية اللغوية الصرفية، وقد أحال السبحاني في هامش كتابه إلى كتاب "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" في النحو والصرف لتأييد كلامه.

وفي ردنا على ذلك، نبحث عما ورد في ألفية ابن مالك في أقسام "النسب"، حيث يقول ابن مالك في أبياته:

وَانْسُبْ لِصَدْرِ جُمْلَةٍ وَصَدْرِ مَا رُكِّبَ مَزْجًا وَلِثَانٍ تَمَّمَا

إِضَافَةً مَبْدُوءَةً بِابْنٍ أَوْ أَبِ أَوْ مَا لَهُ التَّعْرِيفُ بِالثَّانِي وَجَبْ

وَفِيمَا سِوَى هَذَا انْسُبَنْ لِلأَوَّلِ مَا لَمْ يُخَفْ لَبْسٌ كَعَبْدِ الأَشْهَلِ

وفي شرح هذه الأبيات، يذكر ابن عقيل القواعد الصرفية قاطبة، ويوضح أنه إذا نُسِب إلى الاسم المركب، فإن كان مركبًا تركيب جملة، أو تركيب مزج ، حُذِف عجزه وأُلْحق صدره بياء النسب، فتقول في النسبة إلى "تأبط شرًا": تأبطي، وفي النسبة إلى "بعلبك": بعلي. وإن كان المركب تركيب إضافة، فإن كان صدره لفظ "ابن" أو لفظ "أب"، أو كان الصدر معرفًا بعجزه، حُذِف صدره وأُلحق عجزه بياء النسب، فتقول في النسبة إلى "ابن الزبير": زبيري، وفي "أبي بكر": بكري، وفي "غلام زيد": زيدي.

ثم يكمل ابن عقيل القاعدة قائلًا:

«فإن لم يكن كذلك فإن لم يخف لبس عند حذف

عجزه حذف عجزه، ونسب إلى صدره، فتقول في امرىء القيس: امرئي، وإن خيف لبس حذف صدره ونسب إلى عجزه، فتقول في عبد الأشهل وعبد القيس: أشهلي وقيسي»[١].

هذا المبحث اللغوي الصرفي الدقيق في ياء النسب يحتاج إلى فضل تأمل ونظر. ونحن نعلم أن ألفية ابن مالك هي من المتون الأساسية التي تُدرَس في لغة العرب، وشرح ابن عقيل هو من أشهر شروحها. وهو يتحدث هنا عن كيفية تصحيح النسبة الصرفية إلى الاسم المركب المكون من كلمتين.

فمثلًا اسم الشاعر "تأبط شرًا" هو جملة مركبة تركيب جملة ذات معنى، وعند النسبة إليه نحذف العجز وهو كلمة "شرًا" ونبقي الصدر وهو كلمة "تأبط" وننسب إليها فنقول: فلان تأبطي، وهذه هي القاعدة المطردة عند العرب.

أما في المركب التركيبي الإضافي، مثل "ابن الزبير"، فإذا أردنا النسبة إليه لشخص ما، فلا ننسب إلى الصدر فلا نقول "ابني" بل نحذف الصدر وهو كلمة "ابن" ونبقي العجز وهو "الزبير" فنقول: زبيري.

---

[١] راجع شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ج ٤ ص١٦٣.

وكذلك في النسبة إلى "أبي بكر"، فإننا عندما نسمي المخالفين نقول "بكرية" وفلان "بكري" نسبة إلى أبي بكر، ولا يصح النسبة إلى الصدر فلا يقال "أبوي"؛ لأنها جملة مضافة مركبة تركيب إضافة مبدوءة بأب، فلا بد من النسبة إلى العجز وهي الكلمة الثانية "بكر" فنقول: فلان بكري.

أما إن لم يكن المركب الإضافي مبدوءًا بأب أو ابن، ولم يُخف وقوع الالتباس واللبس عند الناس في تحديد المنسوب إليه إذا حذفنا العجز، فإنه يجوز ويصح تمامًا أن ننسب إلى الصدر ونحذف العجز. ومثال ذلك اسم الشاعر "امرئ القيس"، وهو اسم مركب تركيب إضافة، ويصح هنا أن نحذف العجز وهو "قيس" ونبقي على الصدر وهو "امرئ" وننسب إليه فنقول: فلان امرئي، تمامًا كما فعلنا في "تأبط شرًا" بحذف العجز والإبقاء على الصدر؛ وذلك لأننا لا نخاف وقوع لبس أو التباس على السامع، فصحت النسبة إلى الصدر فقيل "امرئي".

ولكن إذا خيف وقوع اللبس والالتباس لدى الناس في هذه النسبة، بحيث لا يُعلم إلى من يرجع النسب، فإننا نحذف الصدر وننسب إلى العجز؛ ففي النسبة إلى بني "عبد الأشهل" لا نقول "عبدي" مخافة اللبس مع بقية قبائل عبد، بل نحذف الصدر ونبقي العجز فنقول: أشهلي.

وكذلك في قبيلة "عبد القيس"، حيث يطرح اللغويون النسبة إليها، وتصح فيهم النبتتان بل الأوجه الثلاثة؛ فيصح أن يقال "عبدي" نسبة إلى الصدر، ويصح أن يقال "قيسي" نسبة إلى العجز، ويصح كذلك أن يقال "عبقسي" بنحت الكلمتين ونسبتهما معًا، وكلها وجوه فصيحة تصح لغة لأن اللبس يرتفع بالقرائن.

وكما نقول في ترجمة سيدنا حكيم بن جبلة العبدي، وهو من قبيلة عبد القيس، فصحت النسبة إلى الصدر فقيل العبدي.

وانتبهوا إلى ما قاله صاحب الألفية ابن مالك في قوله:

"وَفِيمَا سِوَى هَذَا انْسُبَنْ لِلأَوَّلِ مَا لَمْ يُخَفْ لَبْسٌ كَعَبْدِ الأَشْهَلِ".

ولمزيد من الإيضاح والبيان، يقول القلقشندي في كتابه "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب":

"وفي النسبة إليهم -أي إلى قبيلة عبد القيس- مذاهب، أحدها عبدي على النسبة الأولى، والثاني قيسي على النسبة الثانية، والثالث عبقسى على النسبة إليهما جميعا"[١].

---

[١] نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب القلقشندي برقم ١٢١٤.

وهذه كتب الأنساب واللغة والسيرة والحديث بين أيدينا متداولة وطفحت بالنسبة إلى عبد القيس بلفظ "العبدي"، وهناك من قال "القيسي" وهناك "العبقسي". فكيف صحت هذه النسبة إذن؟

إن هذا يدل على أن القواعد الصرفية لها وجوه وسعة، وكان ينبغي على السبحاني أن يفهم أن هذا القياس ليس بمضطرد على وجه واحد، ويبدو أنه لم يستوعب ألفية ابن مالك جيدًا في هذه الجزئية المخصصة لياء النسب، ولا فهم شرح ابن عقيل على وجهه الدقيق؛ إذ لو تأمل لعلم أنه تصح النسبة عند العرب إلى "أم القرى" بلفظ "الأمي"، بحذف العجز وهو "القرى" والإبقاء على الصدر وهو "أم" والنسبة إليه، تمامًا كما جاز قولهم "العبدي" في النسبة إلى "عبد القيس"، وذلك لأنه لا يُخاف اللبس هنا في سياق الحديث عن مكة المشرَّفة، فبطل إشكاله الثاني وسقط الاستدلال به.

شهادات أئمة اللغة والتفسير بصحة النسبة

ثم إن أئمة اللغة والمتضلعين في علومها وفنونها منذ القدم وحتى يومنا هذا، قد ذكروا هذه النسبة -نسبة الأمي إلى أم القرى- في مصنفاتهم بلا إنكار منهم، ولا استغراب، ولا استدراك لطعن في صحتها من الجهة اللغوية.

ما ذكره النحاس

فعلى سبيل المثال، يقول أبو جعفر النحاس وهو من أئمة اللغة المتقدمين في كتابه "معاني القرآن" عند تفسير قوله جل وعز: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ ما نصّه:

"الأمي: الذي لا يكتب، وقيل: نُسِب النبي ﷺ إلى أم القرى وهي مكة"[١].

ويقول النحاس أيضًا في موضع آخر من كتابه:

"ويعنون بالأميين العرب، نُسِبوا إلى ما عليه أمة من قبل أن يتعلموا الكتابة، وقيل: ويعنون بالاميين العرب نسبوا إلى ما عليه الأمة من قبل أن يتعلموا الكتابة وقيل نسبوا إلى الأم ومنه النبي الامي وقيل هو منسوب الى ام القرى وهي مكة"[٢].

فنلاحظ أن النحاس، وهو من جهابذة اللغة العربية وأهل الخبرة فيها، يورد هذه النسبة ويذكرها بلا أي استدراك نقدي، وصحيح أنه لا يلتزم بها كوجه وحيد بل يذكرها بصيغة التمريض "وقيل"، ولكنه إذ يمر عليها دون

---

[١] معاني القرآن للنحاس ج ٤ ص٨٩.

[٢] معاني القرآن للنحاس ج ١ ص٤٢٦.

إنكار أو تجهيل أو قول بأنها غريبة أو مردودة لغويًا، فهذا يثبت قطعًا أن النسبة بحد ذاتها مستقيمة وصحيحة في لسان العرب وليست خاطئة.

ماذكره أبو حيان الأندلسي والسيوطي

والعالم اللغوي الثاني هو أبو حيان الأندلسي، حيث يقول في تفسيره "البحر المحيط":

"وقيل: نسبة إلى أم القرى وهي مكة"[١].

والشارح الثالث هو جلال الدين السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" -وأنا أعلم أن الشيخ السبحاني يحب هذه الكتب كثيرًا ولديه ألفة معها وإن لم تكن من كتبنا الإمامية- حيث يقول السيوطي في كتابه المذكور تحت عنوان "النوع التاسع والستون: فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب":

"وفيه -أي في القرآن- من المنسوب إلى الأماكن: الأمي، قيل: نسبة إلى أم القرى مكة"[٢].

فهذا هو قول السيوطي، وبذلك عددنا ثلاثة من أكابرهم.

---

١ البحر المحيط للأندلسي ج ٥ ص١٩٤.

٢ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص٢٨٨.

ماذكره السمعاني

والرابع هو السمعاني، حيث يقول في تفسيره:

"وعن بعضهم: سُميت قريش أميين نسبة إلى أم القرى وهي مكة"[١].

ماذكره ابن عادل

والخامس هو ابن عادل في كتابه "اللباب في علوم الكتاب"، حيث يقول: "قوله:

قوله «الأُمِّيَّ» العامَّةُ على ضمِّ الهمزة[٢] -- نسبةً إمَّا إلى الأمة وهي أُمَّةُ العرب؛ وذلك لأن العرب لا تحسب ولا تكتب، ومنه الحديث «أنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نَحْسُبُ» ، و إمَّا نسبةً إلى «الأمّ» وهو مصدر «أمَّ يَؤُمُّ» أي: قصد يقصد، والمعنى على هذا: أن النبيَّ

---

١ تفسير السمعاني ج ٥ ص٤٣٠.

٢ أي بقراءة أُمّي وليس أَمّي لأن هناك قراءة شاذة بفتحها وسنأتي عليها إن شاء الله.

الكريم مقصود لك أحدٍ، وفيه نظر؛ لأنه كان ينبغي أن يقال: «الأَمِّيّ» بفتح الهمزة[١]".

ولاحظوا هنا أن ابن عادل حينما يورد هذا القول الأخير الشاذ يستدرك عليه ويعترض ولا يمرره، حيث يقول: "**وفيه نظر؛ لأنه كان ينبغي أن يقال الأَمِّي بفتح الهمزة.**

"وقد يقال: إنَّهُ من تغيير النَّسب، وسيأتيأنَّ هذه قراءةٌ لبعضهم".

ثم يكمل ابن عادل الأقوال قائلًا:

"وإما نسبة إلى أم القرى وهي مكة"[٢].

ونرى هنا بوضوح أنه جاء بهذا القول المكي ولم يستدرك عليه ولم يعترض، ولم يجد فيه أي نكارة لغوية كما وجد في القول الذي سبقه، مما يكشف ويكسر الزعم ببطر هذه النسبة، ويبين أنها نسبة صحيحة ومستقيمة لغويًا إذا أردنا النسبة إلى أم القرى بلفظ الأمي.

---

[١] كأن أصحاب هذا القول يفتحون الهمزة ويقولون: النبي الأَمِّيُّ أي المأموم والمقصود من كل أحد وهو محمد ﷺ.

[٢] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج ٩ ص٣٣٩.

وغير هؤلاء العلماء كثير من أهل اللغة والتفسير، فالمسألة ليست محصورة في واحد أو اثنين، بل إنني فتشت وبحثت في كثير من الكتب والمصنفات لأعثر على إمام واحد يعتد به في اللغة أو الفقه يعترض على صحة هذه النسبة لغويًا فلم أجد أحدًا، ولم ينفرد بهذا الإنكار والاعتراض إلا الشيخ السبحاني!

فيا عجبًا كيف أن هؤلاء الفصحاء والعرب المتخصصين المتضلعين في لغتهم ذكروا هذه النسبة بلا نكير وعبر مئات السنين، ثم يأتي بعدهم بقرون متطاولة الشيخ السبحاني -وهو تركي آذري تبريزي الأصل- لينكر ويقول إن هذه النسبة لا تصح في لغة العرب ولا في أقيستهم الصرفية! واعجبًا من هذا الصنيع، مع أنه أسس كلامه واعتراضه على ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل اللذين تبين لنا في هذه الجلسة أنه لم يستوعبهما جيدًا ولم يفهم مرادهما على وجه الدقة.

حاكمية النص الشرعي على القواعد اللغوية

وقبل كل شيء أيها الإخوة الأفاضل، علينا أن نتفق جميعًا على قاعدة معرفية وعلمية مهمة جدًا؛ وهي قاعدة أن "الأعلائية والحاكمية" في قياس اللغة وتثبيت قواعدها وصحتها إنما هي للقرآن الكريم والحديث الشريف،

أي للكتاب والسنة المطهرة؛ فهما الأصل الذي يُقاس عليهما كلام العرب، ولا يُقاسان هما على قواعد غيرهما من النحاة.

يعني ذلك أننا إذا أردنا أن نصحح كلامًا أو لفظة من حيث اللغة، ونحكم بأنها فصيحة وصحيحة وليس فيها لحن ولا خطأ في النسبة أو في غيرها، فإننا نقيسها على ما ورد في القرآن الكريم، ولا نجعل القرآن مقيسًا خاضعًا للقواعد التي وضعها من جاء بعده ممن تتبع كلام العرب وأسس تلك الأقيسة النحوية.

فهذا النحوي أو اللغوي الذي جاء تاليًا متأخرًا إنما يجتهد بحسب ما يصل إليه نظره واستقراؤه الناقص، وكثيرًا ما كان يرد في لغة العرب ويجري على ألسنتهم الفصيحة ما يكون مخالفًا للقياس الصرفي المعهود، وتجدهم في كتب اللغة يسمون هذه الموارد بـ "السماعية"؛ أي أنها ثبتت سماعًا وتخرج عن القياس الموضوع .

ومثال ذلك المثل العربي الأصيل: "**مُجْبَرٌ أخاك لا بطل**"، فهذا مثل أصيل من كلام العرب، ومع ذلك فإنه بناءً على أقيستهم النحوية والقواعد المكتوبة يكون خاطئًا؛ إذ المفروض في القياس أن يقال "**مُجْبَرٌ أخوك لا بطل**" بالرفع ، ولكن المحفوظ والمسموع الوارد عن العرب الفصحاء هو "أخاك"

بالنصب، وحيث إنه مسموع فهو صحيح وجارٍ على ألسنتهم و إن خالف قواعدهم المكتوبة.

فالخطأ الفادح الذي يقع فيه بعض المعاصرين أنهم يخضعون الحديث الشريف وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام لمثل هذه الأقيسة النحوية والصرفية البشرية، في حين أن الأعلائية المطلقة هي لكلام أهل البيت عليهم السلام ؛ فهم سادة الفصاحة واللغة والبيان، ويفترض فينا هندسيًا وعلميًا أن نقيس القواعد على كلامهم، لا أن نزن كلامهم المعصوم بقواعد وضعت من غيرهم أو نقيسه عليها.

و إن هذا الباب إذا فُتح على مصراعيه وأُبيح الطعن في المأثور بذريعة القواعد، فهو عينه الذي أوصل بعض أصحاب المناهج المنحرفة إلى الطعن حتى في القرآن الحكيم، حيث زعموا أن في القرآن أخطاءً إعرابية ونحوية!

وهذا التجرؤ استجرهم وجر الأمر ببعضهم إلى الوقوع في حبائل الإلحاد -نعوذ بالله من ذلك- بدعوى أن القرآن يحتوي على أغاليط عربية.

وبالله عليكم هل يعقل هذا الكلام؟ هب أن المرء ينظر للقرآن من زاوية أكاديمية بحتة مجردة -معاذ الله- ويتعامل معه بعيدًا عن الإيمان بكونه وحيًا إلهيًا، ألا يبقى القرآن من حيث القيمة العلمية والتاريخية هو أقدم وأضبط وأفصح نص عربي تاريخي مكتوب بين أيدي البشر؟

فأنا إذا أردت معرفة لغة العرب وضوابطها الأصلية، ألا يلزمني الرجوع إلى هذا المرجع الأقدم والأفصح والأدق والأضبط الذي تناقلته الأجيال جيلًا بعد جيل كأقدم وثيقة تاريخية عربية؟ نعم، ينبغي أن تُقاس لغة العرب وقواعدها عليه، لا أن نجعله هو خاضعًا للأقيسة المستنبطة، فمن القرآن تُستنبط اللغة وليس العكس.

وكما هو الشأن في القرآن الحكيم، كذلك هو الحال في الحديث الشريف وروايات أهل البيت الطاهرين عليهم السلام؛ فمتى ما قام الدليل المعتبر على صدور النص عنهم، فإننا نقول في اللغة إن هذا هو الصحيح والفصيح، حتى وإن فرضنا جدلًا أنه لم يوافقهم عليه لغوي واحد؛ لأن المرجعية المعرفية والأعلائية اللغوية هي لهم عليهم السلام. وحين نتفق على تأصيل هذه القاعدة الإبستمولوجية تنحل جميع هذه الإشكاليات والشبهات تلقائيًا.

فلو كان السبحاني ملتزمًا بهذه القاعدة لقال: بما أنه جاءنا نص صحيح عن الإمام محمد الجواد عليه السلام يثبت فيه أن "الأمي" هو نسبة إلى أم القرى، فإني أسلم بذلك تسليمًا مطلقًا وأؤمن به، وما شأني باعتراضات اللغويين وقواعدهم؟ وأي حجية لقول اللغوي في قبال حجية قول الإمام المعصوم عليه السلام؟

فنحن نأخذ بقول المعصوم ونترك قول اللغويين تلامذتهم. هذا لو فرضنا جدلًا وجود لغوي يعترض، والحال - كما أثبتنا بالدليل- أنه لا يوجد لغوي واحد من الأقدمين اعترض على صحة هذه النسبة، بل كلهم تداولوها وذكروها ولم ينكروها، مما يكشف عن وجاهتها اللغوية الصرفية واستقامتها على الأصول والأقيسة أيضًا، وما جاء في شرح ابن عقيل وألفية ابن مالك لا يدفع بصحتها بحال، و إنما اشتبه الأمر على صاحبنا السبحاني فلم يفهم المطلب جيدًا، فسقط إشكاله الثاني وبطل.

السياق القرآني في سورة الأعراف وتفنيد الإشكال الثالث

نأتي الآن إلى الإشكال الثالث للسبحاني في كتابه، حيث يقول ما نصّه:

"ثالثًا: لو كان المراد من الأمي هو المنسوب إلى أم القرى، لكان الإتيان به في ثنايا الخصال العشر إقحامًا بلا وجه واقتضابًا بلا جهة، بخلاف ما إذا قلنا بأنه إيعاز إلى أميته وعدم قراءته وكتابته، ولكن في الوقت نفسه جاء بكتاب عجز كل البلغاء عن معارضته، وأخرس الفصحاء عن مباراته. وعلى الجملة: إن توصيف النبي بالأمي وقومه بالأميين إيعاز إلى هذه النكتة؛ وأن هذا النبي خرج من قوم غير قارئين ولا كاتبين ولا

متحضرين، كما هو أيضًا غير قارئ ولا كاتب، ومع ذلك أتى بشريعة متقنة، وسنن محكمة، وكتاب بديع بلا بديل".

هذا هو المطلب الذي يريد السبحاني تقريره هنا؛ فهو يزعم أنه لو كان المراد بلفظ "الأمي" في كتاب الله تعالى هو المنسوب إلى أم القرى مكة، لكان ذكر هذا الوصف وسط الخصال العشر الممدوحة لرسول الله ﷺ في آيتي سورة الأعراف إقحامًا في السياق بلا مبرر، واقتضابًا للكلام بلا جهة رابطة.

أما إذا فسرنا الأمية بكونه لا يعرف القراءة والكتابة كبقية قومه غير القارئين ولا الكاتبين ولا المتحضرين، فإن هذا المعنى يستقيم -حسب زعم السبحاني- مع سياق تلك الخصال العشر ويكون متسقًا معها. وكيف يكون ذلك سبحان الله؟ يقول السبحاني: لأن هذا التفسير يتضمن إيعازًا ونكتة بلاغية عظيمة، وهي بيان كيف خرج نبي لا يقرأ ولا يكتب من وسط قوم أميين جاهليين وأتى بهذه الشريعة المتقنة والسنن العظيمة والقرآن المعجز الذي لا يبارى، فيكون ذكر هذه الصفة في وسط تلك الخصال (مثل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث،

ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) متسقًا وموافقًا للمزايا والصفات النبوية الشريفة لرسول الله ﷺ .

وإنني لأعجب حقيقة من اعوجاج السليقة العلمية إلى هذا الحد البعيد!

فأولًا: هذه النكتة البلاغية المدعاة والتوجيه المزعوم لا يوجد له أي إيعاز أو أثر البتة في الآيتين الكريمتين ولا في سياقهما العام، إلا إذا تمحلنا وتكلفنا تكلفًا ظاهرًا كالذي تكلفه السبحاني في كلامه.

وأين وردت هاتان الآيتان في سورة الأعراف؟ لنقرأ السياق بتمامه ونتلو كتاب الله عز وجل لنرى هل يوجد بالفعل إيعاز إلى تلك النكتة أم هو مجرد تمحل وتكلف؟ فإننا لا نجد في الآيات أي أثر لهذا الادعاء.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأعراف:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَاسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطيبات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاهُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1].

لقد اتضح لنا جليًا من قراءة هذا السياق القرآني أمر بالغ الأهمية أرجو منكم التركيز فيه؛ وهو أن وصف النبي بـ "الأمي" في هذا النعت والمساق جاء تحديدًا في سياق آيات تخص بني إسرائيل واليهود وأهل الكتاب عمومًا.

---

[1] سورة الأعراف: ١٥٦-١٦٠.

فالكلام الذي يسبق هاتين الآيتين هو عما كان يقوله موسى عليه السلام في مناجاته ودعائه عن بني إسرائيل وعن اليهود، والكلام الذي يليهما مباشرة هو عنهم أيضًا: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

وهذا يبرهن على أن هذه العلامات المذكورة والأوصاف الدلالية إنما وُجِّهت وخُوطب بها اليهود وأهل الكتاب من الله تعالى ليستدلوا بها على صدق نبوة النبي الأكرم المصطفى صلى الله عليه وآله عند بعثته. ولا بد حتمًا أن تكون هذه النعوت المذكورة نعوتًا فارقة ومميزة تميزه عن أنبياء بني إسرائيل وعن طريقتهم، وهي النعوت المكتوبة والثابتة لديهم بنص الآية: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾.

فهذه الأوصاف المميزة والنعوت هي التي تميزه وتفرقه عنهم؛ فهو يختلف عن بني إسرائيل في أحكامه وخصائصه؛ فهم مثلًا لديهم طيبات كثيرة حرموها على أنفسهم بظلمهم وموسى حرمها عليهم عقوبة، وهو يأتي فيحلها لهم بعكس طريقتهم، ولديهم خبائث كانوا يحلونها فيأتي هو ويحرمها عليهم، ويأمرهم بالمعروف الذي تخلوا عنه وتركوه، وينهاهم عن المنكر الذي كانوا يقترفونه، ويضع عنهم إصرهم والأغلال القاسية والآثار التي

قيدتهم وأثقلت كاهلهم في شريعتهم السابقة فيفكها ويرفعها عنهم ويأتي بشريعة سمحة مكافئة ومعاكسة لما ثقل عليهم.

فلا بد إذن أن تكون صفاته المكتوبة عندهم صفات مميزة وفارقة ومختلفة تفرق بينه وبينهم جغرافيًّا وسلوكيًّا.

وانتبهوا لي جيدًا: إذا قلنا بناءً على زعم المخالفين والسبحاني إن معنى "الأمي" هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، فأي صفة مميزة وأي علامة فارقة تكون في هذا الوصف بالنسبة لليهود؟

والحال أن طائفة كبيرة من اليهود وأهل الكتاب أنفسهم كانوا مشاركين ومشاركات له في هذه الصفة من عدم المعرفة بالكتابة بنص كتاب الله عز وجل! كما مر معنا في الفصل الماضي في قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، فلا يوجد تمايز إذن في صفة الجهل بالكتابة طالما أن الأمية بهذا المعنى فاشية فيهم وفي غيرهم.

الدلائل الروائية والتاريخية على ترقب أهل الكتاب للنبي

والآن جاء دور الوفاء بما وعدناكم به، من أن نقيم الدليل القاطع على مدعانا؛ وهو المدعى الذي اعترفنا بأن غيرنا من المفسرين المعاصرين لم يتنبه إليه ولم يقله، ولكننا نؤكد عليه ههنا ونصر عليه إصرارًا؛ وهو أن

السياق القرآني بحد ذاته لمن تأمل وتدبر فيه كافٍ تمامًا لتثبيت وتأييد المعنى المعصوم الذي ورد عن إمامنا أبي جعفر الجواد عليه السلام، من أن المراد بالنبي الأمي ليس الجاهل بالقراءة والكتابة بل النبي المكي المنتسب لأم القرى.

فالتحليل السياقي للقرآن يوضح أنه نبي مكي عربي يختلف عن أنبياء بني إسرائيل، وهذه هي النقطة الفارقة والعلامة المميزة الممتازة التي تفرقه عنهم؛ فهم من بني إسرائيل وهو من بني إسماعيل، وهم بعثوا في قرى ومدن أخرى وهو خرج من مكة المكرمة أساسًا.

واليهود في الحقيقة إنما كانوا يفتشون ويتحرون عن مكان وظهور هذا النبي المنتظر.

ودعوني أذكركم أيها الإخوة بما ذكرناه في سلسلتنا الرمضانية السابقة، ضمن سلسلتنا المحاضراتية التي كانت بعنوان "محمد صلى الله عليه وآله كما لم تعرفه من قبل"، وماذا كشفنا لكم هناك بالوثائق والأخبار؟

لقد كشفنا لكم عن أن اليهود وأهل الكتاب كانوا قبل ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله بأجيال يتحرون بعثة نبي آخر الزمان وخاتم الأنبياء، ويطلبونه طبقًا للمواصفات الجغرافية والصفات المكتوبة عندهم في أسفارهم.

وما الذي كان مكتوبًا عندهم؟ وما هي تلك العلامات والدلالات البارزة؟

كانت تفيد بأن هذا النبي يخرج من هذا الموضع الجغرافي المخصوص، فكان الموضع والمكان هو أول علامة يطلبونها ويتحرونها ويسافرون لأجلها.

وللتذكير، فقد ورد في كتاب "الكافي" الشريف، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال عليه السلام:

"كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد صلى الله عليه وآله ما بين عَيْرٍ وأُحُد، فخرجوا يطلبون الموضع "[1].

فهذا هو المكتوب والثابت عندهم في الكتب، وهذه هي العلامة الجغرافية؛ نبي أمي مكي من هذا النطاق والمنبع الجغرافي المخصوص.

فعندما يريد الله عز وجل أن يخاطب هؤلاء ويقول لهم اتبعوا هذا النبي بهذه الأوصاف، فإن أول صفة يأتي بها ويذكرها هي قوله: انظروا لقد وافق الموضع والبلد الذي خرج منه ما هو مسطور ومكتوب في كتبكم السالفة، فهو ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾؛ أي أول ما يجدونه مكتوبًا هو كونه نبيًا أميًا من هذا الموضع بمكة.

---

[1] الكافي الشريف للكليني ج ٨ ص٣٠٨.

والإمام الصادق عليه السلام يقولها صراحة: "**كانت اليهود تجد في كتبها...**" وهذا هو المكتوب لديهم، ولم يقل الإمام إنهم وجدوا في كتبهم أنه كان لا يعرف القراءة والكتابة، بل وجدوا أنه يخرج ويهاجر من هذا الموضع الجغرافي فخرجوا يطلبون الموضع ويسكنونه كـ "يثرب".

وفي رواية أخرى وردت في "تفسير القمي"، يقول:

"**وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم - النضير وقريظة وقينقاع -: أن هذا أوان نبي يخرج بمكة**"[١].

فلنضع خطًا عريضًا تحت كلمة "بمكة"؛ إذن فالعلامة التي كانوا يتداولونها دائمًا فيما بينهم، ويتوقعونها ويذكرونها كأولى العلامات وأبرزها، هي أن هذا النبي يخرج بمكة؛ فهو نبي أمي من أم القرى، وأن مهاجره ودار هجرته تكون بالمدينة المنورة.

أما الرواية الثالثة، فهي الرواية العظيمة التي أخرجها الشيخ الطبرسي في كتاب "الاحتجاج "، في تفصيل مناظرة إمامنا علي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام مع أرباب الملل والنحل والعلماء من شتى الأديان، ومنهم

---

[١] تفسير القمي ج ١ ص٢٧٢.

"رأس الجالوت" عالم الأحبار واليهود. حيث قال رأس الجالوت للإمام الرضا:

"من أين تثبت نبوة محمد ﷺ ؟" فقال الإمام الرضا عليه السلام : "شهد بنبوته موسى بن عمران، وعيسى بن مريم، وداود خليفة الله في الأرض عليهم السلام".

إلى أن يقول الإمام صلوات الله عليه ملزمًا رأس الجالوت اليهودي، فانتبهوا إلى قوله:

"هل تنكرون التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء، وأضاء للناس من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران؟ قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها. قال الرضا عليه السلام : أنا أخبرك به أما قوله: جاء النور من قبل طور سيناء: فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء، وأما قوله: وأضاء للناس في جبل ساعير، فهو: الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام وهو عليه، وأما قوله: واستعلن علينا من جبل

فاران: فذاك جبل من جبال مكة، وبينه وبينها يومان أو يوم"[١].

فإذن، الثابت والموجود في كتبهم كأولى العلامات وأبرزها في صفة هذا النبي الخاتم ﷺ، هو خروجه وظهوره من هذا الموضع والبلد المخصوص؛ حيث جبل فاران، وحيث النطاق الجغرافي الممتد من مكة أم القرى وبكة. فهذا التفسير التاريخي والروائي المعصوم هو الذي يستقيم تمامًا وبلا تكلف مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾.

ولا عبرة بطبيعة الحال بالادعاءات والتأويلات المتأخرة التي جاءت في أقوال ومصنفات أهل الخلاف بعد قرون متطاولة؛ حيث أولوا الآية الكريمة زاعمين أن الموجود في كتب اليهود والنصارى هو صفة نبي لا يقرأ ولا يكتب، فهذا الادعاء لم يصح البتة تاريخيًّا، وإنما هي اختلاقات وتخرصات وتأويلات تالية غير مسندة إلى دليل تاريخي أو نصي من كتبهم.

والبحوث والدراسات الحديثة والمعاصرة لليوم، من قبل هؤلاء المشتغلين بالتنقيب والتفتيش في كتب اليهود والنصارى عن البشارات بالنبي ﷺ وأهل بيته الأطهار، وجدوا وحصلوا على بشارات وإشارات واضحة وجلية

---

[١] الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص٢٠٩.

تتعلق بموطنه ومهاجره الجغرافي ﷺ، ولم يجدوا بشارات تتعلق بكونه أميًا جاهلًا بالقراءة والكتابة كما يزعم المخالفون والسبحاني.

مكة المكرمة كبرهان قاطع على صدق النبوة

إذن، فكل الآثار والشواهد تدعم وتؤيد هذه الفكرة الأصيلة؛ وهي أن من أولى وأعظم العلامات التي ذكرها الله عز وجل لأهل الكتاب في صفة هذا النبي للتحقق من نبوته وصدق رسالته، هو كونه مكيًّا خرج من هذه البقعة الجغرافية المحددة.

أما ما سوى ذلك فليس بمحقق ولا ثبت له أثر عند التحقيق والبحث العلمي. بل إننا اليوم وبكل ثقة علمية ويقين نعلن أن كون النبي ﷺ ناشئًا في مكة وظاهرًا فيها هو بحد ذاته من أعظم الأدلة العقلية والتاريخية على صدق نبوته ورسالته الشريفة، ولماذا نقول ذلك؟ انتبهوا للتحليل بدقة.

لأن ما جاء به النبي ﷺ في القرآن الكريم من معارف الهية، وتعاليم سامية، وحكم بالغة، وتفاصيل دقيقة وقصص وأخبار مفصلة ومصححة حول الأنبياء السابقين والأمم والأقوام السالفة، كل هذا الزخم المعرفي الضخم لا يمكن عقلًا وتاريخًا -إن لم تكن ثمة نبوة ووحي إلهي- لا يمكن أن يأتي به رجل إلا إذا كان قد قضى عمره وعاش حياته في حواضر ومراكز علمية يهودية أو نصرانية طوال سنين حياته، وكان على تماس وثيق

واحتكاك مباشر مع أحبار أولئك الأقوام ورهبانهم حتى يتسنى له نقل كل هذا التراث الضخم عنهم وحفظه.

ولا تكفي في هذا المضمار المعرفي بطبيعة الحال تلك السفرة أو السفرتان القصيرتان لرحلة الشتاء والصيف للتجارة، حتى يتمكن المرء من نقل هذا الكم الإخباري الهائل عما كان عليه أهل الكتاب وأقوامهم وأنبياؤهم بالتفصيل، فضلًا عن أن يأتي بما زاد على كتبهم من تشريعات وأحكام عادلة ومعارف إلهية بديعة. فالبيئة المعرفية والاجتماعية التي نشأ وترعرع فيها النبي الأعظم ﷺ في مكة كانت بيئة صحراوية مقفرة معزولة، تفتقر تفتقرًا تامًا إلى أدنى المعلومات وأبسط الحقائق التاريخية والمرتبطة بالأديان الإبراهيمية التوحيدية؛ إذ كانت بيئة وثنية تعبد الأصنام.

فهذا التراث المعرفي الهائل والكم الضخم الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، مع كونه نشأ في مكة المعزولة وفي بيئة وثنية بعيدة كل البعد عن البيئة الكتابية الإبراهيمية، لهو دليل عقلي ساطع وبرهان حاسم على صدق نبوته واتصاله بالوحي؛ لأنه مستحيل عقلًا في طبيعة البشر أن يتسنى له أخذ هذا الكم الوافر من المعلومات العميقة إلا إذا كان ناشئًا في بيئاتهم وعاش حياته بين ظهرانَيهم مستمعًا ومتعلمًا، وهذا لم يحدث تاريخيًّا بالاتفاق.

ولا يمكن لأحد من الخصوم القول مثلًا بأن النبي ﷺ قد عثر على كتاب من كتبهم القديمة وترجمه وقرأه، ثم ألقى وصاغ ما ألقاه على الناس على أساس أنه وحي يوحى؛ فهذا الذي نقله وأورده النبي ﷺ في كتابه العزيز والقرآن المجيد لا يمكن لعمقه وسعته أن يكون مأخوذًا أو منقولًا من كتاب واحد ومصدر واحد.

وهناك بالمناسبة بعض المستشرقين وبعض خصوم الإسلام وأعدائه حاولوا جاهدين إثبات أن النبي لم يكن نبيًا، وأنه في الحقيقة إنما أخذ واقتبس ما جاء به في القرآن من كتب أهل الكتاب السابقة.

وفماذا فعلوا لأجل هذا المدعى؟ أخذوا القرآن الحكيم وحاولوا جهد أيمانهم إرجاع كل آية وسورة فيه إلى أصل وشيء مما توارثته اليهود والنصارى في كتبهم المقدسة المزعومة، وألفوا في هذا الصدد كتبًا ومجلدات طوالًا.

ولكنك في داخل نفسك حين تقرأ كتب هؤلاء المستشرقين، تشعر وتلمس بوضوح مقدار الحيرة العظيمة والاضطراب الذي انتابهم وأذهل عقولهم؛ ولماذا حاروا؟ لأنهم وجدوا مضامين وأشياء في القرآن الكريم لم يستطيعوا أبدًا إرجاعها إلى كتاب واحد من كتب أهل الكتاب، بل وجدوها مبعثرة وموزعة في كتب شتى ومتفرقة، وليست محصورة فقط في كتب التوراة والإنجيل بعهديهما القديم والجديد، بل اضطر المستشرق لكي يجد شبهًا أن

ينطلق ويتوسع في البحث داخل التراث اليهودي الضخم والواسع جدًا والمتمثل في "التلمود" مثلًا.

والتلمود كما تعلمون هو كتاب ضخم هائل الحجم، يحتوي على أسفار ومجلدات وأقوال وتفسيرات لا حصر لها، ويتضمن آراء علمائهم وأحبارهم ورهبانهم وتفسيراتهم التاريخية والتشريعية عبر القرون. ومن فرط ضخامة هذا الكتاب التلمودي، لم يتسنَّ لليهود والمؤسسات العلمية ترجمته كاملًا إلى اللغات العالمية إلا قبل بضع سنوات قريبة وتحديدًا في عام 2011 حيث استطاعوا إتمام ترجمته الشاملة.

فانظروا عقليًا وتأريخيًا: كيف يأتي رجل واحد في القرن السادس الميلادي، وفي قلب صحراء مكة المعزولة، ويترجم كل هذا التراث التلمودي الضخم ويحيط به إحاطة تامة؟

إن هذا الأمر يتطلب منه لكي يفعله -بالمقاييس البشرية- أن يحمل جمالًا وأحمالًا من الكتب والصحائف والمخطوطات في ذلك الزمان الغابر، ويأتي بها لمكة ويقعد يترجمها دون أن يلاحظه أو يشعر به أحد من قريش!

ومن ثم يقرأ كل هذا الكم الهائل في تلك المدة الزمنية الوجيزة ويترجمه إلى لغته العربية الفصحى، ثم يعيد صياغته و إلقاءه بأسلوب معجز من جديد دون أن يحس به أو يكتشف أمره أحد! إن هذا فرض مستحيل عقلًا

وتاريخًا، وهو من قبيل المحال العادي الذي لا يقبله عقل بشري محايد. ولذلك، لا يكون هناك من سبيل عقلي ولا مفر علمي أمام المنصف إلا تقبل فكرة وتصديق أن النبي ﷺ جاء بكل هذه المعلومات الغيبية والتاريخية والدينية عن طريق قناة وحي متصلة اتصالًا مباشرًا بالسماء؛ إذ لا يمكن البتة أن يكون قد أخذ هذا وتلقاه من بشر آخر وهو يعيش في هذه البيئة المكة المعزولة التي تبعد آلاف الأميال عن حواضر وبيئات أهل الكتاب ومجامعهم العلمية.

وخاصة إذا لاحظنا والتفتنا إلى حقيقة تاريخية حاسمة أقر بها المستشرقون أنفسهم؛ وهي أن تلك الكتب الدينية بما فيها العهد القديم والعهد الجديد والتلمود وما شاكلها من شروح وأسفار مقدسة، لم تكن مترجمة أصلًا إلى اللغة العربية في زمان النبي الأكرم ﷺ بقطع ويقين.

ولو رجعتم مثلًا إلى كتاب "The Dictionary of Islam" (معجم الإسلام) للمستشرق الإنجليزي الشهير توماس باتريك Hughes، تجدونه ينقل ويقتبس عن مستشرق إنجليزي آخر وهو جون رودويل Rodwell ما ترجمته الحرفية:

"لا توجد أي حجة أو دليل تاريخي على أن محمدًا قد اطلع على الأسفار المقدسة لأهل الكتاب؛ فلا توجد أي

حجة ولا يوجد أي دليل على أنه اطلع على تلك الأسفار حتى يأخذ أو يقتبس منها، ولا بد من الإقرار والاعتراف بأنه لا توجد أي آثار واضحة أو تاريخية على وجود ترجمة عربية مدونة للعهدين القديم والجديد قبل زمان محمد ﷺ ".

فإذا كان الحال والواقع التاريخي هكذا، حيث لا توجد ترجمة عربية لتلك الكتب الضخمة التي لا يمكن في الأصل النقل منها دون شعور أو إشعار، وحيث يتطلب الأمر عمليات ترجمة معقدة تحتاج للجنة كاملة من المتخصصين والمترجمين واللغويين لو كان -نعوذ بالله وحاشاه- نبيًا كاذبًا يفتري الكلام؛ إذ سيحتاج إلى فريق عمل كامل يشتغل معه بالخفاء على مدى سنين طوال يلتقطون له من هنا ومن هناك ثم يجمعون له المادة ليصيغ منها القرآن! فأين ذكر التأريخ هذه اللجنة المزعومة؟ وأين هذا الفريق السري وهو يعيش في مجتمع مكي صغير ومكشوف يعرف الجميع فيه تفاصيل حياة بعضهم بعضًا؟

وهو بالإضافة إلى ذلك بعيد عن مواطنهم الجغرافية، وحتى إن تذرعوا بسفراته القليلة للتجارة فهي سفرات تجارية معدودة لا تتجاوز أيامًا ولا تكفي بتاتًا لتلقي هذا الكم المعرفي المعجز الهائل من المعلومات.

لقد نشأ في بيئة وثنية جاهلية صِرفة في مكة أم القرى، ومع ذلك جاء بكل هذه الأخبار المفصلة عن إبراهيم، وموسى، وعيسى، والأنبياء وأقوامهم، وما جرى بينهم بأدق التفاصيل والجزئيات التاريخية، بل وجاء مصححًا لما كان يتداوله أحبار اليهود والنصارى أنفسهم فيما بينهم من أخبار وقصص محرفة ومحاججًا إياهم بالحق وملزمًا لهم به؛ فهل يمكن تفسير هذا الإطار المعرفي الضخم والواسع بغير النبوة والوحي الإلهي؟ لا يمكن أبدًا إلا أن يشطح شاطح بجهل وتهافت كما شطح بعض هؤلاء المستشرقين البلهاء.

تهافت النظريات الاستشراقية المعاصرة

لقد وجد المستشرقون أنفسهم أمام معضلة تاريخية وعلمية حقيقية وأزمة علمية خانقة؛ فنحن أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن نثبت نبوة محمد ﷺ وحقيقة وحيه لتصحيح وخروج وصدور كل هذه المعارف والأخبار التاريخية الدقيقة من لسانه الشريف وهو بعيد كل البعيد عن حياض وحواضر أهل الكتاب، وإما أن يذهبوا إلى خيار آخر مثير للسخرية والضحك لشدة تهافته.

وماذا قالوا لعلاج هذه المعضلة والفرار من إثبات نبوته؟

قالوا: إن محمدًا لم يكن من مكة الحالية أصلًا! وزعموا أن محمدًا ولد وعاش واحتك بمجتمعات كتابية في أعالي الجزيرة العربية وفي تخوم الشام، بل وصلت البلاهة والسخافة ببعضهم في شطحاتهم إلى حد ادعاء أن مكة التأريخية ليست هي مكة التي نعرفها ونحج إليها اليوم في الحجاز، وإنما هي مدينة "البتراء" الأثرية الموجودة في الأردن! وزعموا أن البتراء هي مكة الحقيقية.

وهؤلاء الذين قالوا هذا الكلام -وترى هناك أسماء مستشرقين رنانة ولها ثقل في الدوائر الأكاديمية الغربية قد تبنوا هذا الهراء وألفوا فيه كتبًا ومصنفات- هم جماعة من المستشرقين؛ منهم على سبيل المثال المستشرقة "باتريشيا كرون"، والمستشرق "مايكل كوك"، والمستشرق الألماني "جيرد بوين"، وهذا المستشرق الإنجليزي المعاصر "توم هولاند". وإذا كان بعضكم قد سمع بتوم هولاند هذا، فقد أحدث ضجة إعلامية وعلمية كبيرة قبل سنوات؛ لأنه أنتج فيلمًا وثائقيًا تاريخيًا أنتجته وعرضته له القناة الرابعة البريطانية (Channel 4)، وأثار الفيلم ضجة واسعة وهجومًا في حينها قبل بضع سنوات مما دفعهم لمنع عرضه مؤقتًا ثم أعادوا عرضه بعد ذلك. واسم هذا الفيلم الوثائقي هو: "الإسلام: القصة غير المروية" (Islam: The Untold Story).

وهذا الفيلم الوثائقي تبلغ مدته ساعة تقريبًا وقد شاهدته كاملًا بتمعن، وخلاصته ومضمونه والهدف الذي يريد توماس هولاند ومَن لف لفه تقريره والوصول إليه في هذا الفيلم هو شيء مثير للسخرية صراحة، ويمثل غاية البلاهة والجنون العلمي المطبق؛ حيث يقول هولاند إنه لا يمكن لنا عقليًا أن نصدق أن محمدًا قد أتى وجاء بكل هذا التراث والمعلومات الضخمة المعجزة وهو ناشئ من أهل مكة الحالية التي نعرفها اليوم لجفافها وانعزالها الثقافي والتاريخي، ولذلك ينتهي كخلاصة وفي نهاية فيلمه إلى زعم أن محمدًا هذا كان يعيش وسط أهل الكتاب وفي حواضر يهودية أو نصرانية وعلى تماس وثيق ومباشر معهم، ولذا فهو يرى ويزعم أن مكة الفعلية والتأريخية والبلاد التي نشأ وعاش فيها النبي ﷺ إنما كانت في بلاد الشام حيث تتواجد وتنشط تلك الأقوام الكتابية وتراثها!

وفي الحقيقة، أنا أتذكر أن أحد الإخوة المؤمنين لفت نظري ونبهني إلى هذا الفيلم الوثائقي وقت عرضه، وكان هذا الأخ غاضبًا جدًا ومنفعلًا؛ لأنه اعتبر هذا الفيلم إساءة كبرى للمقام الأقدس للنبي الأكرم ﷺ وتشكيكًا في ثوابت الإسلام الجغرافية والتاريخية، لأن المستشرق بالفعل لا يريد الإقرار بنبوته فيلتف عليها بمثل هذه السخافات والتخرصات الشاطحة.

ولكنني قلت له -وأتذكر حينها أنني وجهته بهذا المنظور- قلت له: بالعكس تمامًا، إن علينا أن نفرح ونستبشر بطرح هذا الفيلم وما جاء فيه؛ لأن نفس هذا الفيلم ونفس ما طرحه هؤلاء المستشرقون من إشكالات ومحاولات يائسة هو بحد ذاته أكبر دليل عقلاني وعلمي على صدق نبوة نبينا الأكرم ﷺ !

لأن أي إنسان يمتلك مسكة من عقل ويحترم عقله وتفكيره المنطقي، لا يمكنه أبدًا أن ينكر هذه المحسوسات والحقائق التاريخية؛ فليس من الممكن علميًّا إلى هذه الدرجة من السخافة أن تقتلع جغرافية مدينة كاملة وتاريخ أمة من مكانها الجغرافي المستفيض والمتواتر وتضعها في مكان آخر بشخصها وأقوامها وثقافتها وتراثها وتدعي أن مكة هي البتراء! فهذا كلام سخيف وتهافت مضحك، وهو يشبه تمامًا مَن يأتي اليوم ليقول إن مدينة "لندن" ليست في بريطانيا بل هي موجودة في "البصرة" مثلًا! فهذا كلام يضحك الثكلى لشدة جهله وبطلانه.

ولكن الجيد في الأمر والنافع لنا أنهم قالوا هذا الكلام واعترفوا بهذه المعضلة؛ فبناءً على كلامهم نلزمهم ونقول لهم: أنتم إذن تقرون وتعترفون اعترافًا أكاديميًا صريحًا بأنه مستحيل عقلًا وبشريًا وعاديًا أن يأتي رجل واحد بكل هذا الزخم المعرفي والقرآني والقصصي الضخم وهو يعيش

وينشأ في بيئة جاهلية وثنية معزولة كمكة، أنتم تقرون وتثبتون هذه الاستحالة؟

فيقولون: نعم نقر بذلك، ولذلك هربنا لادعاء أنه كان في الشام والبتراء. فنقول لهم: حسنًا، هذا الإقرار منكم يكفينا تمامًا ويثبت مدعانا؛ لأن الواقع التأريخي القطعي والثابت بالتواتر والإطباق البشري الذي لا يمكنكم إنكاره هو أن محمدًا ﷺ هو نبي أمي مكي بالاتفاق والإجماع التاريخي، ولم يدعُ أحد من البشر ولا من الخصوم منذ 1400 سنة وحتى ساعتكم هذه أن محمدًا لم يكن من أهل مكة ومن أم القرى!

فإذا ثبت تاريخيًا أنه مكي، وثبت عقليًا باعترافكم استحالة صدور هذا العلم من مكة بالوسائل البشرية، تعين قطعًا وثبت يقينًا أنه نبي يوحى إليه من الله تعالى. وإن هذه القضية لهي أعظم آية ومن أكبر الأدلة والمعاجز على صدق نبوة نبينا الأكرم ﷺ، ولأجل هذا الملاك العظيم ذكرها الله تعالى وركز عليها في كتابه المجيد.

فاستيقظ يا شيخ جعفر! واصحوا يا علماءنا حتى تفهموا وتتدبروا المضمون الحقيقي والمعنى العميق لقوله جل وعز: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، وقد قدم وركز الباري تعالى على هذه الصفة والنعت أولًا في سياق محاجه أهل الكتاب لكي تنبهروا وتلتفتوا وتوقنوا أنه

نعم، هو نبي أمي منسوب لأم القرى مكة المكرمة، خرج من تلك البيئة البعيدة تمامًا عن علومكم وثقافتكم الإبراهيمية، وثقافة قومه وثنية جاهلية لا حظ لها من هذه المعارف، ومع ذلك يأتيكم ويحاججكم بكل هذا العلم والتفصيل الصحيح ؛ فهذا لا يكون بأي وجه إلا دليلًا قاطعًا وبرهانًا ساطعًا على أنه نبي مرسل من الله تعالى، ولم يتلق قرآنه هذا من لسان بشر ولم يعلمه إياه أحد.

إن مجيئه بكل هذا العلم من تلك البقعة بالذات هو الدليل المفحم الذي يبطل وينسف كل اتهاماتهم وافترآتهم السابقة واللاحقة.

والمستشرقون في الحقيقة لم يأتوا بشيء جديد من ناحية الاتهام والشبهة، وإنما كرروا واجتروا نفس ما كان يردده مشركو مكة وكفارها قديمًا، والذي حكاه الله تعالى ورده في كتابه المجيد بقوله:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

فالآن، وبعد هذا البيان العلمي والتحليلي، لو وضعنا هذين القولين في كفتي ميزان البحث العلمي:

---

[1] سورة النحل:١٠٤.

١. القول الأول للمخالفين والسبحاني الذي يزعم أن المراد بالنبي الأمي هو النبي الذي لا يعرف القراءة والكتابة.

٢. والقول الثاني المستنير بنور العترة الذي يثبت أن المراد بالنبي الأمي هو النبي المكي المنتسب لأم القرى مكة.

فأي القولين والمضمونين يكون أرجح ، وأوزن، وأقوى دلالة وأخدم لعقيدة النبوة؟

بالتأكيد قولنا المستند لآل محمد هو الأرجح والأقوى؛ لأن دليل إثبات النبوة بكونه مكيًّا بيئيًا أشد وأقوى بكثير عقلانيًا من دلالة كونه لا يقرأ ولا يكتب. فهذا برهان نبوة عظيم جدًا كان اليهود الأقدمون يفتشون ويبحثون عن موقعه وجغرافيته، ولم يكونوا يبحثون عن مجرد شخص لا يكتب؛ إذ كان فيهم ومعهم أميون كثيرون لا يكتبون، فأين تكون العلامة المميزة والفارقة هنا لو كانت مجرد عدم الكتابة؟

بينما المستشرقون بأبحاثهم المعاصرة قد جاءوا بكلام واعترافات تجعل كل ذي لب وعقل ينتبه مجبرًا إلى صدق نبوة النبي الأكرم ﷺ .

فالأمية لو أثبتناها بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة، فإن هذه الأمية الصرفية بإمكان الخصم أن يدعي ارتفاعها بيسر وسهولة بالواسطة؛ بأن يقول الخصم إن محمدًا وسط أحدًا يقرأ له الكتب ويلقي إليه المضامين

شفاهة وهو من ثم يحفظها ويلقيها للناس، وهو بالفعل الاحتمال والتأويل الذي تمحله بعض هؤلاء المستشرقين البلهاء في ذهنهم الطاعن.

فإذا ثبتنا كونه أميًا بهذا المعنى الساذج فقط، فهذا لا يشكل دليلًا تامًا وحاسمًا على نبوته، ويكون قولًا موهونًا أمام شبهاتهم؛ لأن الطرف الآخر -كالسبحاني وغيره سواء من تأثروا بأهل الخلاف أو لم يتأثروا- يقول إن كونه أميًا بمعنى لا يعرف الكتابة هو كمال في حقه وليس نقصًا؛ لأنه مع كونه كذلك أتى بكل هذا العلم والمعرفة، وهذا كمال من الله علمه إياه وأجرى على لسانه قصص الأنبياء السالفين، فهذا هو معنى الأمية عندهم. فنرد ونقول لهم: إن هذا ليس دليلًا تامًا ومفحمًا للخصم المادي أو المستشرق؛ إذ بإمكان أي واحد منهم أن يدعي وجود وسيط أو محدث حدثه شفاهًا وتنتهي القضية ببساطة وترتفع المعجزة عندهم.

أما كون النبي ناشئًا ومبعوثًا ومحصورًا في جغرافية مكة المعزولة ثقافيًا ودينيًا، فكيف يمكن للخصم والمستشرق رفع هذا البرهان التاريخي؟ لا يمكنهم إلغاء أو دفع كونه من مكة إلا بأن يأتوا بشطحة وهراء مضحك من قبيل زعمهم أنه نشأ في البتراء أو على تخوم الشام وعاش وهلك هناك وليس في جزيرة العرب! فهذا البرهان التاريخي الجغرافي هو الذي لا يمكنهم

رفعه ودعمه أبدًا، وهو أنه من مكة نبي أمي، وعلى هذا البرهان تنعقد وتثبت معجزة نبوته ﷺ .

فهذا هو حجر الأساس المتين الذي نثبته أولًا في صدق نبوة المصطفى ﷺ ؛ أنه نبي أمي من أم القرى، من مكة، من جبل فاران، من تلك النقطة الجغرافية المحددة التي بشر بها الأنبياء عليهم السلام .

وأظن أنه بعد هذا البيان والتشريح العلمي، صار البحث واضحًا جليًا ومبرهنًا على صدق ما نرويه ونعتقده عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام ، ومبينًا بطلان وتهافت ما عليه العامة العمياء ومَن تأثر بهم.

وجوب التسليم المطلق لآل محمد عليهم السلام

ونحن في كل الأحوال والأزمنة، يجب علينا أن نتواضع تواضعًا مطلقًا لما أُثر ووُرِد عن أئمتنا الطاهرين عليهم السلام ، وأن لا نجعل أنفسنا وعقولنا القاصرة أوصياء على ما أثر عنهم وعقلًا فوق كلامهم كما فعل هؤلاء الذين جنوا على الأخبار والروايات جناية كبرى. فالخبر تلو الخبر والأخبار الكثيرة تأتي وتتواتر عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في بيان حقائق وبخلاف ما عليه العامة العمياء. فالعامة العمياء يقولون إن النبي ﷺ كان جاهلًا بالقراءة والكتابة ولا يعرفهما، بينما أئمتنا المعصومون يقفون ويثبتون أنه كان يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو ثلاثة وسبعين لسانًا ولغة، وكان يعرف القراءة والكتابة

فيها بالدرجة الأعلى. و معنى النبي الأمي عندهم هو النبي الأمي المنسوب إلى أم القرى مكة.

ثم يأتي بعض المنسوبين للعلم على ترف علمي وادعاء معرفي، فيحاول تسخيف وتوهين هذه المقالة الشريفة للمعصوم زاعمًا أنها لا تصح كنسبة في قواعد اللغة، وقد تبين وظهر معنا بطلان وتهافت زعمه اللغوي.

وزعم أيضًا أن هذا الأمر إذا ذُكر في الآيات لا يستقيم مع سائر الأوصاف والنعوت والخصال الممدوحة في سورة الأعراف، وقد تبين وتبرهن معنا بطلان زعمه السياقي أيضًا.

ثم بعد ذلك، لو أن المرء تريث ولبث وتدبر -بل لنفرض جدلًا وتنزلًا أننا لم نفهم هذا المطلب بعقولنا، ولنفرض أننا لم نتعقل وجه الحكمة في مقالة أئمتنا عليهم السلام- أليس الواجب علينا والمفترض بنا أن نتواضع للنص المعصوم ونسلم له تسليمًا؟

نعم، يجب أن نعود أنفسنا وعقولنا على هذا المنهج العقدي القويم؛ وهو منهج التسليم المطلق المنطلق من الحديث الشريف:

"القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد عليهم السلام، فيما أسروا وما أعلنوا، وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني"[١].

---

١ الكافي الشريف للكليني ج ٢ ص٣٠٦.

فأنا أقول بقولهم وأعتقد بعقيدتهم سواء بلغني النص بالتفصيل أو لم يبلغني، بل وحتى في ذلك المضمون الذي أسروه في أنفسهم ولم يظهروه؛ فعقيدتي هي عقيدتهم، وقولي هو قولهم عليهم السلام.

فلماذا يعرض المرء عن هذا المعين الصافي ويتركه؟ ويأتي بأمور وتخريجات عقلية يحسبها من العلم والمعرفة لإبطال قول المعصوم وتوهينه، فيقع من حيث لا يشعر في فخاخ الشيطان وفي فخر وشباك العامة العمياء، وثم يضحك الناس والعلماء المحققون عليه!

لأنه لو لبث وتريث وتدبر في أبعاد النص لسمع ورأى، ولقيل له من لسان الواقع والبحث العلمي: اصح واستيقظ من غفلتك، إنك بفعلك هذا ونفيك لكون المراد بالنبي الأمي هو النبي المكي، قد أبطلت وهدمت بيدك دليلًا عظيمًا من أعظم الأدلة والبراهين التاريخية والعقلية التي حار وانذهل في توجيهها ودفعها كبار المستشرقين على صدق نبوة نبينا صلى الله عليه وآله!

إن كونه أميًا بمعنى أنه من هذه البقعة المباركة مكة، هو حجر الأساس الصلد في إثبات صدق رسالته ونبوته العقلية، ولأجل هذا الملاك قدم الله عز وجل هذه الصفة البارزة وذكرها أولًا في قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا دائمًا وأبدًا ممن لا يتعدون قول آل محمد الطاهرين عليهم الصلاة والسلام، وممن لا يتغربون ولا يبتعدون عن نورهم الساطع وعما أثر عنهم في كتابهم وكلامهم الكريم.

ماذا كتب النبي ﷺ لأبي بكر وعمر بخط يده؟ وكيف كتب وهو أمّي؟..... ١٤

استهلال..... ١٥

رعب الشيخين في ليلة القدر!..... ١٦

الرد على شبهة أمية النبي وعلاقته بالقراءة والكتابة..... ٢٠

معاني الأمية في كتاب الله..... ٢٢

التمييز بين المعرفة بالقراءة والكتابة والممارسة العملية لها..... ٢٦

شواهد تاريخية على قراءة النبي وكتابته..... ٢٧

شواهد من طرق أهل الخلاف..... ٢٨

دراسة أحاديث باب تسمية النبي بالأمي في علل الشرائع ٣٢

الحديث الأول..... ٣٢

الحديث الثاني..... ٣٣

الحديث الثالث..... ٣٤

الحديث الرابع ٣٥

الحديث الخامس..... ٣٥

الحديث السادس..... ٣٥

الحديث السابع ٣٦

الحديث الثامن.....٣٧

قراءة نقدية وملاحظات منهجية حول الروايات.....٣٨

الملاحظة الأولى.....٣٨

الملاحظة الثانية.....٣٨

الملاحظة الثالثة.....٣٩

جعفر السبحاني مثالًا لاعوجاجِ السّـــليقة والتغرّب عن نـــور العترة عليهم السلام ٤٢

مفهوم النبي الأمي في منظومة العترة الطاهرة.....٤٣

مناقشة أطروحة جعفر السبحاني وتفنيد الإشكال الأول.....٤٤

القواعد الصرفية في النسبة وتفنيد الإشكال الثاني.....٥٠

شهادات أئمة اللغة والتفسير بصحة النسبة.....٥٥

ما ذكره النحاس.....٥٦

ماذكره أبو حيان الأندلسي والسيوطي.....٥٧

ماذكره السمعاني.....٥٨

ماذكره ابن عادل.....٥٨

حاكمية النص الشرعي على القواعد اللغوية.....٦٠

السياق القرآني في سورة الأعراف وتفنيد الإشكال الثالث.....٦٤

الدلائل الروائية والتاريخية على ترقب أهل الكتاب للنبي.....٦٩

مكة المكرمة كبرهان قاطع على صدق النبوة.....٧٥

تهافت النظريات الاستشراقية المعاصرة.....٨١

وجوب التسليم المطلق لآل محمد عليهم السلام ٨٩

ولما كان هذا المفهوم -
الأميّة- يمسُّ جانبًا من جوانب
الكمال في شخصية النبي ﷺ -
الذي هو مجمع الفضائل ومنتهى
العلم - فقد تصدى سماحة
الشيخ الحبيب (دام عزه)
لتفكيك هذه الشبهة وإماطة
اللثام عن الحقيقة التي تليق بمقام
النبوة المطلق